الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون –تيارت-
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

المسار: تاريخ

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

موسومة بـ:

أوضاع الكنائس و نظمها في تاريخ الدول الإسلامية بالأندلس من الفتح إلى نهاية الدولة الموحدية

(92-630هـ/ 711-1233م)

إعداد الطالبتين:

- الزهراء بن ستالة
- نادية بلعباسي

إشراف الأستاذ الدكتور:

حاكمي الحبيب

لجنة المناقشة

د.عليلي محمـــــد	رئيسا
د.حاكمي الحبيب	مشرفا ومقررا
د.زلماط إليـــــاس	مناقشا

السنة الجامعية:

1439-1440هـ الموافق ل 2018-2019م

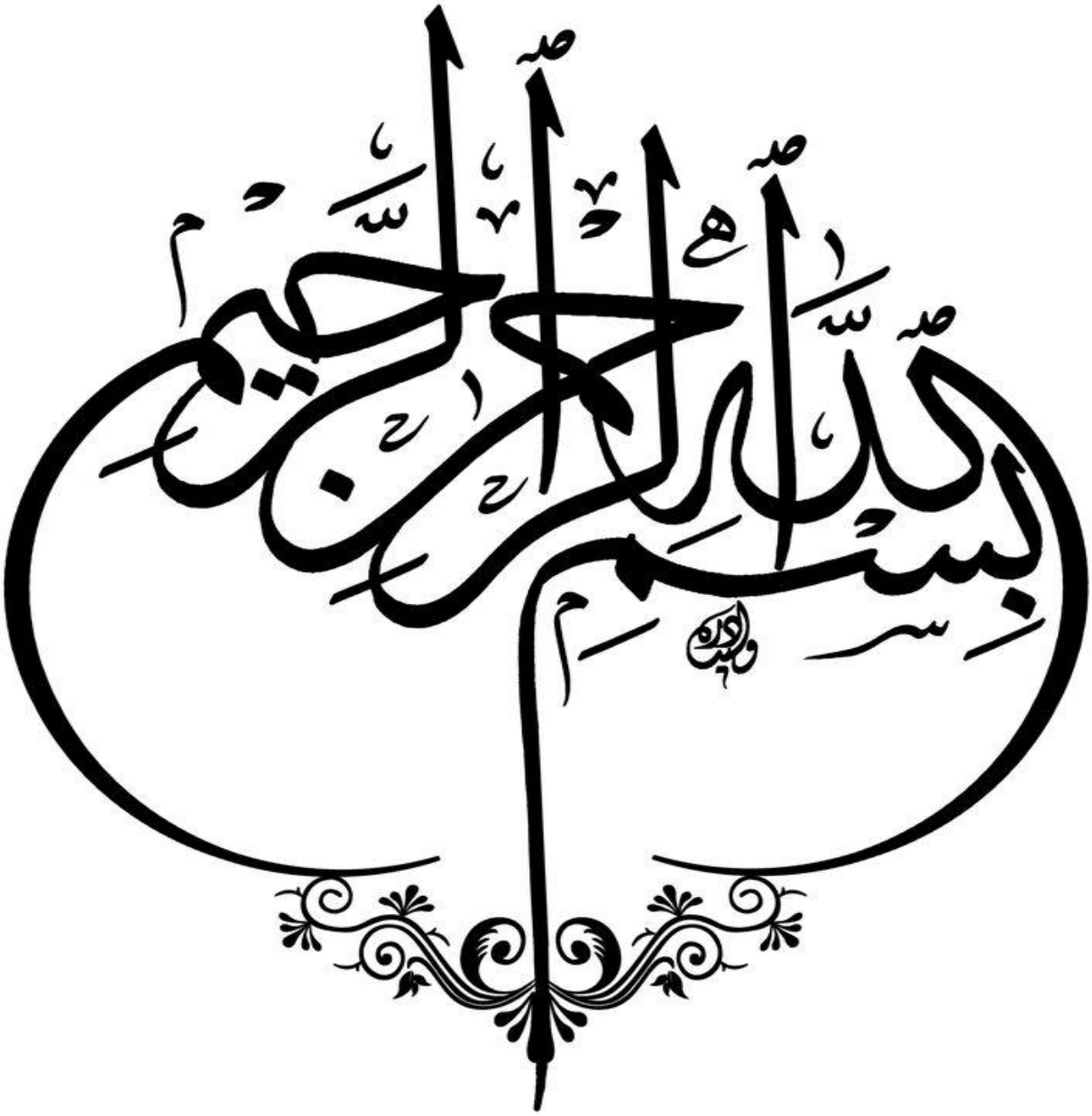
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

نشكر الله العلي القدير و نحمده حمدا كثيرا الذي أمدنا بالقوة و الثبات و العزيمة لإنجاز هذا العمل المتواضع.

نتقدم بجزيل الشكر إلى الوالدين العزيزين اللذين أعاناانا و شجعونا على الاستمرار في مسيرة العمل و النجاح

كما نتقدم بالشكر و التقدير لأستاذنا المشرف الدكتور حاكمي الحبيب الذي لم يبخل علينا يوما بتوجيهاته و نصائحه القيمة و مساندته لنا

كما نشكر كل الأساتذة الذين أناروا لنا الطريق من الطور الابتدائي إلى المتوسط إلى الثانوي و كل أساتذتنا الجامعيين

و نتوجه بخالص الشكر و التقدير إلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد على إنهاء هذا العمل المتواضع

و نسأل الله أن يوفقنا جميعا لخدمة الدين و العلم إنه السميع المجيب

قائمة المختصرات

المصطلح	اختصاره
الطبعة	ط
العدد	ع
جزء	ج
مجلد	مج
تحقيق	تح
ترجمة	تر
السنة الهجرية	ه
السنة الميلادية	م
الصفحة	ص
توفي	ت
دون تاريخ	د.ت
دون طبعة	د.ط
Page	p

مقدمة

مقدمة

دخل الإسلام إلى بلاد الأندلس بعد أن فتحها المسلمون سنة 92هـ/711م، وصارت بذلك جزء من الدولة الإسلامية، و خضعت المجموعات البشرية " النصارى و اليهود" بها لحكم الإسلام، فقد تعامل معهم المسلمون وفق الأحكام الشرعية الخاصة بأهل الذمة باعتبارهم رعايا يتمتعون بكامل حقوقهم التي أقرها الإسلام في إطار "عقد الذمة".

سمح المسلمون لرعاياهم من النصارى واليهود بالبقاء على ديانتهم القديمة مع الحرية في ممارسة شعائرهم الدينية في كنائسهم و بيعهم، ولم يحدث أن أجبروا أحدا على الإسلام، كما سمحوا لهم بحرية السكن والتنقل وممارسة أنشطتهم الحياتية وأن يسيروا أمورهم وفق أعرافهم وقوانينهم وشاركوهم أعيادهم واحتفالاتهم فقد حرص المسلمون أن تكون علاقاتهم مع السكان الأصليين في الأندلس جيدة و قوية ذلك أن موقف المسلمين عندما نزلوا بلاد الأندلس لم يقصدوا أن يعيشوا سادة مترفين و إنما استقروا مع أهل البلاد و عاشوا في سلام دون أن يتدخلوا في حياتهم و طريقة معيشتهم أو أن يغيروا دينهم.

شكل النصارى و اليهود جزءا هاما من المجتمع الأندلسي و احتلوا مكانة لائقة في ظل سماحة الإسلام منذ فتح المسلمين للأندلس، الشيء الذي سمح لهم بإقامة علاقات خاصة مع السلطة و المجتمع الإسلامي، مما شجعهم على الانفتاح على الثقافة و التقاليد و العادات الإسلامية و كان لهم مساهمتهم و مشاركتهم في بناء الحضارة العربية الإسلامية.

و قد دفعتنا أسبابا عدة لاختيار هذا الموضوع منها:

- تسليط الضوء على سماحة الإسلام و نظرته للمخالفين في الدين، و إبراز الفرق بين نظرة الإسلام للنصارى و اليهود كرعايا للدولة الإسلامية و تطبيقات ذلك.
- إظهار دور الإسلام في الحوار مع المخالفين و دعوتهم بالتي هي أحسن دون اللجوء للعنف أو وسائل أخرى.
- التأكيد على الاختلاط والتعايش الذي عرفه أتباع الأديان في الأندلس.
- إبراز مساهمة و مشاركة النصارى و اليهود في رقي الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس.

لقد حظي هذا الموضوع بعناية و اهتمام الباحثين و الدارسين، الذين أسهموا بكتاباتهم و أبحاثهم حول الأوضاع التي سادت المجتمع الأندلسي بالأخص النصارى و اليهود و طرح بعض التساؤلات مما يثري البحث. ومن أهم الدراسات التي أنجزت في هذا الميدان:

- الدراسة القيمة لسيمونت حول " تاريخ مستعربي إسبانيا " و قد تناول فيه جوانب من حياتهم في الأندلس.
- الكتاب المهم المعنون ب: " يهود الأندلس و المغرب" لمؤلفه حاييم الزعفراني و الذي خصص جانبا كبيرا منه ليهود الأندلس.
- البحث القيم لإلياهو آشتور حول يهود إسبانيا، تناول فيه جوانب هامة عن تاريخهم و أحوالهم و إسهاماتهم الاقتصادية و الاجتماعية.
- العمل الذي قام به محي الدين صفي الدين و المعنون ب: " المستعربون و دورهم في تاريخ الأندلس"، و هو عبارة عن رسالة تقدم بها لنيل درجة الماجستير في التاريخ من جامعة وهران. و تناول فيها أوضاع النصارى و دورهم في المجتمع الأندلسي.
- كتاب كاجيكاس حول المستعربين في الأندلس تناول فيه أوضاع النصارى و اليهود في الأندلس.

ومن هنا كان لابد من تسليط الضوء على أوضاعهم في ظل الدولة الإسلامية، و كيف مارسوا أنشطتهم الاقتصادية و الاجتماعية و تحت حكم السلطة الإسلامية؟ وما هي تنظيماتهم الإدارية و الدينية؟ و ما هي الأدوار التي لعبوها في الأندلس؟ و ما مدى التزامهم كرعايا بالعيش في ظل الدولة الإسلامية؟ و هل كان لهم تأثر و تأثير مع جيرانهم المسلمين؟

وللإجابة على هذه التساؤلات اخترنا أن يكون الموضوع المدروس: أوضاع الكنائس و نظمها في البلاد الإسلامية في الأندلس من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الموحدية.

ذلك هو موضوع البحث الذي يزاوج منهجه المنهج التحليلي و ذلك في التعريف بفئات التي كونت المجتمع الأندلسي و معرفة الأسباب و الدوافع التي جعلت المستعربون يحتلون مكانة في المجتمع

الأندلسي و كذا الأوضاع التي كانوا يعيشونها و كذا المنهج الاستقرائي استعملناه لاستنتاج بعض الحقائق الغير مصرح بها و ذلك بأخذ المعلومة و استخلاص الأحداث مثل الدور الذي لعبه المستعربون أما المنهج المقارن فكان للمقارنة بين الأوضاع الاجتماعية للمسلمين و المستعربين من حيث المكانة و العادات و من حيث التأثير و التأثر بغية الخروج بملاحظات عن حياة النصارى و اليهود بالأندلس و كيف عاشوا في ظل الإسلام .

وقد جاء البحث في مقدمة و مدخل و ثلاث فصول و خاتمة حيث تضمنت المقدمة لمحة موجزة عن الموضوع و أهم التساؤلات التي تطرقنا في الدراسة للإجابة عنها و أسباب اختيار الموضوع ثم أبرزنا المنهج المتبع فيه.

خصصنا المدخل لدراسة الأوضاع العامة لأهل الذمة في الأندلس بداية بالتعريف و الأحكام انتقالا إلى التأثيرات المتبادلة بينهم و بين المسلمين و دورهم في العلاقات الداخلية و الخارجية.

تطرقنا في الفصل الأول إلى الكنائس في الأندلس مفهومها و أوضاعها و كذا إلى العناصر المكونة للمجتمع الأندلس و أوضاع النصارى في الأندلس في كل من العصر الأموي و ألمرابطي و ألموحدي.

و تناولنا في الفصل الثاني إلى التنظيمات الإدارية و الدينية للنصارى و اليهود في الأندلس فبينا نظامهم في تسيير شؤون حياتهم و علاقتهم بالسلطة الإسلامية و أماكن عبادتهم.

وقدمنا في الفصل الثالث الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية لنصارى و اليهود بالأندلس، و كيف نشطوا في التجارة، بالإضافة لنشاطهم الاجتماعي كالزواج و الأعياد و اللباس و غيرها.

و في الخاتمة تعرضنا للنتائج و الاستنتاجات التي توصلنا إليها من دراستنا.

و من أجل إنجاز بحثنا رجعنا إلى عدد من المصادر الإسلامية، التاريخية و الأدبية، فوجدنا فيها معلومات تتفاوت في درجة أهميتها بالنسبة للموضوع لكنها بصورة عامة معلومات قليلة و لا تكفي لتغطية الموضوع من جميع جوانبه و السبب في ذلك راجع إلى أن الكثير من مؤلفي المصادر الإسلامية

لم يبسطوا في الحديث عن الطوائف من غير المسلمين كالنصارى و اليهود، و إنما تم ذكرهم بصورة مباشرة في إطار التأريخ للأحداث.

و لكي نستكمل هذا الموضوع تم الرجوع إلى مراجع عربية و أجنبية، تناولت الأولى المجموعات العربية بينما تناولت الثانية المجموعات النصرانية و اليهودية.

وعلى الرغم من تحيز بعض المراجع الأجنبية بل و تعصبها أحيانا إلا أنه أمكن الاستفادة منها و استغلالها .

وفيما يأتي تحليل لاهم المصادر و المراجع التي اعتمدنا عليها في بحثنا.

أولا: المصادر:

1- كتاب التبيان للأمير عبد الله ابن بلقين آخر أمراء بنو زيري في غرناطة (توفي بعد سنة483هـ/ 1090م) . افادنا في دراسة اليهود و أحوالهمفي عصر ملوك الطوائف حيث كان شاهد عيان للأوضاع التي كانت سائدة .

2- الحوادث و البدع للطرطوشي لأبي بكر محمد بن الوليد الفهري (المتوفى520هـ/1126م)، و قد أفادنا مما قدمه في كتابه عن بعض أعياد النصارى في الأندلس، وكيف انتقل تأثيرها إلى المسلمين، و ما كان يجري من ممارسات خلال الاحتفال بتلك الأعياد .

3- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني (توفي سنة 542هـ/1084م) يعد هذا الكتاب موسوعة أدبية و تاريخية ضخمة، و قد رتبه على أربعة أقسام: حيث خصص القسم الأول منه لأهل قرطبة و ضواحيها، و القسم الثاني لأهل غرب الأندلس، و القسم الثالث لأهل شرق الأندلس، و القسم الرابع تناول فيه الطارئين على الأندلس يحتوي معلومات خلدها الشعراء في قصائدهم لأحوال النصارى في الأندلس كما قدم معلومات عن اليهود من خلال تراجم علمائهم .

4- عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصبعية، و هو أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يوسف السعدي (ت 668هـ/1269م) يتضمن الكتاب تراجم للأطباء القدامى والمحدثين به معلومات تخص المهن و الحرف التي كان يزاولها النصارى و اليهود .

5- كتاب أحكام أهل الذمة لابن القيم الجوزية، و هو شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت 751هـ/1350م) تضمن معلومات تتعلق في مجملها بأحكام أهل الذمة و إقامتهم داخل الحدود الإسلامية، بالإضافة لحقوقهم و واجباتهم تجاه المجتمع الإسلامي .

6- المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتأوي علماء إفريقية و الأندلس و المغرب لأبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي (المتوفى 914هـ/1508م) يحوي العديد من القضايا و النوازل الفقهية بما تتضمنه من إشارات للمسائل الاقتصادية و الاجتماعية كالملابس و الأعياد، و كذلك حول الكنائس .

ثانيا: المراجع العربية و الأجنبية:

1- كتاب Historia de los mozarabes de espana لمؤلفه سيمونت وهو موسوعة ضخمة، أرخ فيه للنصارى من الفتح إلى سقوط غرناطة، أفادنا بمعلومات مهمة عن الحياة اليومية للنصارى بالأندلس بجوانبها الاقتصادية و الاجتماعية و الإدارية و الدينية بتفاصيل لا تخلو من أهمية .

2- كتاب Dufourcq c.e la vie quotidienne médiévale dans l'urope لمؤلفه دوفورك، حيث قدم لنا معلومات هامة عن المجتمع في الأندلس، وبخاصة عن النصارى و اليهود، كما قدم لنا معلومات وافية عن أماكن العبادة و الدور الذي كانت تلعبه، بالإضافة للطقوس الدينية و الأعياد و الاحتفالات عند طائفة النصارى و مشاركة المسلمين فيها، كما قدم معلومات عن سكن اليهود و انعزالهم و عاداتهم و تقاليدهم و مشاركتهم بالتجارة .

3- التجارة و التجار في الأندلس لمؤلفه أوليفيا ريمي كونستبل، بما حواه عن مظاهر النشاط الاقتصادي للنصارى و اليهود في الأندلس .

4- كتـاب structures sociale « orientales » et « occidentales » dans l'Espagne musulmane لمؤلفه بيير غيشار وقد أفادنا بمعلومات لجوانب مهمة عن المجتمع الأندلسي و أصول عناصره، كما قدم معلومات عن

الاختلاط بين هذه العناصر و منها الزواج بين المسلمين و النصارى، و كيف أسفر عن ظهور طبقة المولدين .

وكأي بحث أكاديمي لا يخلو من الصعوبات والمشاكل واجهتنا بعض الصعوبات المتمثلة فيصعوبة الحصول على المادة العلمية من مصادرها الأساسية حيث تفتقد مكتباتنا على العديد منها خاصة التاريخية، و طول فترة الدراسة حتم علينا الإلمام بقدر الإمكان بكل ماله صلة بالموضوع من أحداث ووقائع و التنسيق في المادة العلمية و ذلك بسبب تفاوت المعلومات في المصادر فكان علينا أخذ بعض الحقائق الغير المصرح بها لاستنتاج الأحداث بالإضافة إلى نقص المادة التي تتحدث عن النصرانية في الأندلس مثال ذلك مسألة حرق الكنائس فأغلب المصادر الإسلامية أهملتها وتحدثت بصفة عامة عن هدم المسلمين للكنائس و إقامة مساجد في مكانها .

ومسك الختام نرجوا من الله أننا قد وفقنا في عملنا المتواضع، و الذي حاولنا فيه قدر الإمكان توضيح الصورة، عن هاته الطائفة في المجتمع الإسلامي، و مدى تأثرهم بالحضارة الإسلامية .

المدخل:

الأوضاع العامة لأهل الذمة في الأندلس

1- التعريف بأهل الذمة.

2- أحكام أهل الذمة في الإسلام.

3- أوضاع أهل الذمة.

4- التأثيرات الاجتماعية المتبادلة بين المسلمين و أهل الذمة.

5- دور أهل الذمة في العلاقات الداخلية و الخارجية بالأندلس.

احتل أهل الذمة مكانة هامة في المجتمع الإسلامي، فهي احد الفئات الاجتماعية التي ارتبط وجودها بقيام الدولة الإسلامية ،التي توسعت و ازدادت رقعتها مع الفتوحات الإسلامية. ففي أوائل العصر العباسي امتدت من قلب الهند إلى شواطئ بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) [1]فشكلت بذلك فضاءً رحبا مترامي الأطراف، ضم شعوبا و قبائل وطوائف و ديانات مختلفة و مع تطور الدولة الإسلامية،تطورت فئة أهل الذمة فكانت لها إسهامات في بناء الحضارة الإسلامية.

1-التعريف بأهل الذمة:

ا- **لغة:** الأهل في اللغة القرابة والعشيرة ، وأهل المذهب من يدين به ،وأهل الأمر ولاته[2]أما كلمة الذمة فتعني الحق و الحرمة[3]، فهي من الذمام والمذمة و جمعها أذمة ،والذمة: العهد و الكفالة وجمعها ذمام ؛ فرجل ذمي أي له عهد،وفلان له ذمة أي:له حق،قال الزبيدي في هذا المقام:"الذمام كل حرمة تلزمك إذا ضيعتها المذمة"[4].

وفي التنزيل العزيز قوله تعالى:" لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (10)"[5]الحلف و الذمة و العهد .

ومن معاني الذمة الضمان و الأمانة و الكفالة،ففي الحديث النبوي الشريف يقول المصطفى صلى الله عليه و سلم:(يسعى بذمتهم أدناهم) و تفسيره الأمان.و الذمام و الذمامة[6]:الحرمة.

---

[1]- غوستاف لوبون، حضارة العرب، تر:عادل زعيتر،دار الكتب ،1969م،ص142 .

[2]- ابن المنظور محمد بن مكرم الإفريقي المصري،لسان العرب ، تح: عبد الله علي الكبير و آخرون ، دار المعارف القاهرة، مج1 ،ج1،ص164.

[3]- ابن المنظور ،المصدر نفسه ،مج3،ج17 ص 17-15 .

[4]- الزبيدي مرتضى الحسيني محمد بن محمد بن عبد الرزاق ، تاج العروس في جواهر القاموس، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، ط1 ، ج32، 2000م، ص205.

[5]- سورة التوبة: الاية10.

[6]- ابن المنظور، المصدر السابق،مج3، ج17، ص 17-15.

قال [الاخطل] :

فَلَا تَسْقُونا مِنْ أَخيكم نِعامةً ... ونَسْقِ بَنِي أَصْداءَ العِيرَ كَفيلُها[1]

ب- **اصطلاحا:** أهل الذمة في الاصطلاح الشرعي :هم أهل الكتاب[2]و هم اليهود و النصارى و من اتخذ كتابا سماويا كالسامرة [3]و الصائبة[4]و ذلك لقوله تعالى:"قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ"[5]،ويلحق بأهل الذمة المجوس[6] لقول -رسول الله صلى الله عليه و سلم –"سنو بهم سنة أهل الكتاب" و ذلك في اخذ الجزية فقط ، ولا تجري عليهم أحكام الذمة في المناكحة و الذبائح والسبب في ذلك حسب قول الشهرستانيإن المجوس كانوا من أهل الكتاب ، الا ان (صحف ابراهيم) رفعت عنهم إلى السماء لإحداثأحدثوها،لذا تجري عليهم أحكامأهل الكتاب في الجزية ،ولا يجوز مناكحتهم و لا أكل ذبائحهم[7].

و في منظومة الذهب المنجلي في الفقه الحنبلي بيان ما سبق ذكره في بابا عقد الذمة :

---

[1]- ابن المنظور، المصدر السابق، ج12، ص221.

[2]- أهل الكتاب: نسبة إلى الكتاب المقدس مثل التوراة و الإنجيل و هم اليهود و النصارى ويجري المجوس مجراهم في اخذ الجزية و كذلك تؤخذ من الصائبة و السامرة فهم يوافقون أهل الكتاب في أصل المعتقد ، انظر: الماوردي أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب، (ت450 ه) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تح: احمد المبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة الكويت، 1989م، ط1، ص183.

[3]- السامرة: قوم يسكنون جبال بيت المقدس و قرايا من اعمال مصر اثبتوا نبوة موسى و هارون ويوشع بن نون عليهم السلام و أنكروا نبوة من بعدهم من الانبياء الا نبيا واحد يأتي بعد موسى يصدق ما بين يديه من التوراة. انظر الشهرستاني أبي الفتح محمد بن عبد الكريم،(ت548ه) الملل والنحل، دار المعرفة، بيروت، ج1، ط3، 1993م، ص 261-260.

[4]- الصائبة : في اللغة من صبا الرجل اذا مال و زاغ وكل من مال و زاغ عن سنن الحق و منهج الانبياء. الشهرستاني، المصدر نفسه، ج2، ص307.

[5]- سورة التوبة،الاية29.

[6]- المجوس: يعظمون الأنوار و النيران و يدعون نبوة زراديشت و هم فرق شتى،اهم كتاب يسمى(رندا و ستا) ادعوا انه منزل من الله. الشهرستاني، المصدر السابق، ج1 ،ص ص284.278.

[7]- نفسه ،ج1 ، ص 247.

تُعْقَدُ الْذِمةُ مِنأَهلِ الْكِتابِ وَ المَجُوسُ شُبَهةٌ فِيهِمْ تُجَابُ
يَعْقِدُهَاالْإِمَامُأَنْ يَأْمَنُهُم وَ فِي خِصَالٍأَرْبَعٍ لَهُمُ
بِجِزيةٍيُأْخذُهَا مِن صَاغِرٍ مَع احْتِرامِ دِينِنَا فِي الْظَاهِرِ[1].

و منه فالذمة شرعا هم المعاهدون من اليهود و النصارى أصحابأهل الكتاب و ما شابههم من المجوس و السامرة ، الذين دخلوا في ذمة الدولة الإسلامية بصفة مؤبدة بعد إعطاء الجزية، مع الالتزام بإحكامأهل الذمة[2]، فصاروا في حماية المسلمين و امنهم و عهدهم، و ذلك سوآءاكان الذمي من بلاد استولوا عليها او فتحت صلحا .او كان اجنبيا دخل بلاد المسلمين فصار تحت حمايتهم.

و منه عرف اهل الذمة الامن و الامان من المسلمين فعاشوا جنبا الى جنب في ظل الحكم الاسلامي، مثل ما جاء في منظومة [الفقه الحنبلي]:

لَايضُرُ مُسْلِمٍ مِنْ فِعلِهِم وَالحُكْمبِالإِسْلامْ فَوقَ اَمرِهِم
فِيِنَفْسِهِمَ وَ مَالِهِمَ وَ لِلَاهُ الَا اعتِقَادُ حَلُهُم لِلفِعْ [3]

2- أحكام اهل الذمة في الاسلام:

أ- الحقوق و الواجبات:

بعدما أسلفنا في ذكر التعريف اللغوي و الاصطلاحي الشرعي لأهل الذمة، نحاول ان نعطي صورة واضحة عن هذه الفئة من المجتمع ،وكيف وجدت في الدولة الإسلامية حتى أصبحت لها حقوق و عليها واجبات،مثلها مثل باقي فئات المجتمع .

[1]- شحادة محمد موسالرحيباني ، منظومة الذهب المنجلي في الفقه الحنبلي ، دار الفكر دمشق، ط1 ، ج1 ،1981م، ص 167-168.

[2]- تجري على أهل الذمة أحكامالإسلام في أنفسهم و أموالهم و أعراضهم ما لم يحدث أمرا من قتل نفس أو زنا او المجاهرة بشرب الخمر واكل لحم الخنزير:انظر محمد شحادة ، المرجع السابق، ص168.

[3]- شحادة محمد ، المرجع السابق ، ص168.

لقد حمل المسلمون على عاتقهم تبليغ رسالة رسول الله صلى الله عليه و سلم و دعوة الناس للإسلام و نشر تعاليهم السمحة دون إكراه[1] فكانوا عند غزوهم للأمصار يطلبون من أهلها اعتناق الإسلام والدخول فيه ،فمن استجاب منهم ،طبقت عليهم أحكام المسلمين،أي لهم من الحقوق ما للمسلمين و عليهم من الواجبات ما على المسلمين أما من امتنع فقد فرضت عليهم الجزية و بموجب هذا العقد [2]،أصبح في حكم أهل الذمة.

دفع الجزية هو بمثابة الإقرار في بقائهم على دينهم و دخولهم في حماية المسلمين ولم يكن لهذه الفئة بهذه الصيغة وجود ،قبل السنة التاسعة من الهجرة [3] أي بعد فتح مكة ،حيث كان النبي عليه الصلاة و السلام يتعامل معهم بموجب عهود في زمن محدد. الى ان نزلت آية الجزية المتضمنة لعقد الذمة وهي قوله تعالى قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ".[4]

و منه أهل الذمة هم من بقي على دينه مقابل دفع الجزية،فعوملوا من قبل الدولة الإسلامية والمسلمين بتسامح عظيم فكانت لهم حقوق و عليهم واجبات[5]. أما الواجبات فكان على أهل الذمة دفع الجزية بموجب عقد وفق شرطين اثنين حددهما الماوردي احدهما مستحق والأخر مستحب[6].

---

[1]- لم ينشر المسلمين و العرب و الإسلام بالقوة وحد السيف و انما اقبل عليه الناس و اعتنقوه بإرادتهم وهذا ما قاله غوستاف " والحق أنالأمم لم تعرف فاتحين راحمين مثل العرب ولا دينا سمحا مثل دينهم "انظر غوستاف لوبون،المرجع السابق، ص 128-127.

[2]- تعقد الذمة مع أهل الكتاب اليهود في فرقهم و النصارى في فرقهم أو من اشتبه بهم ويعقد الإمامأومن ينوب عنه و يكون العقد بشروط متفقة ،انظر : شحادة محمد ، المرجع السابق، ص167.

[3]- اختلف الفقهاء في السنة التي فرضت فيها الجزية ،فهناك من يقول السنة الثامنة و هناك من يقول السنة التاسعة للهجرة ،انظر:ابن حجر العسقلاني احمد بن علي(ت852هـ) ، فتح الباري في شرح صحيح البخاري ،دار طيبة الرياض، ط1 ،ج7،2005م ،ص441.

[4]- سورة التوبة:الآية 29.

[5]- ادوار غالي الذهبي ،معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، مكتبة غريب القاهرة، 1993،ط1، ص91.

[6]- الماوردي، المصدر السابق ،ص ص186.181.

فالشرط المستحق يشمل ستة أمور يجب على أهل الذمة تحقيقها ،وهي احترام القران الكريم ورسول الله عليه الصلاة و السلام ،و عدم القدح في الإسلام وإلا يصيبوا مسلمة بالزنا ولا بنكاح.وألا يحولوا مسلما عن دينه في محاولة لنشر تعاليم دينهم مستغلين تسامح المسلمين لهم ،وألا يعينوا أهل الحرب على المسلمين ،و ذلك إما بالتجسس لصالح العدو أو بإيواء الجواسيس.

أما الشرط المستحب فيشمل أمور ستة كذلك و من بينها لبس الغيار[1] و شد الزنار[2] و أن تكون مبانيهم أقل ارتفاعا من مباني المسلمين، وألا يسمعوا المسلمين أصوات نواقيسهم [3]، وتلاوة كتبهم ،وعدم المجاهرة بشرب الخمر آوإظهار الصلبان و الخنازير ، وإخفاء دفن الموتى ، وعدم النواح عليهم وعدم ركوب الخيل و السماح لهم بامتطاء البغال و الحمير ،كما انه على أهل الذمة ألا يحدثوا بيعة أو كنيسة.

وفي هذه المسالة خلاف بين الفقهاء [4]وخلصوا إلى أن ما فتح من الأمصار عنوة فلا يجوز لأهلها إحداث كنائس أو بيع، و لكن يمكن لهم ترميم ما تهدم أوإبقائها ، دون التعرض لها لممارسة شعائرهم الدينية ، أما الأراضي التي فتحت صلحا فيجوز لهم إحداث كنائس و بيع وفق ما أشترط عليه في عقد الذمة ما لم يحدث أمرا.

أما الحقوق التي تمتع بها أهل الذمة فيمكن تلخيصها في مايلي: -حق الاعتقاد في الدين: لقد وضحت نصوص تاريخية كثيرة ،على حرية العقيدة للأقليات و الجاليات الدينية في حماية الدول

[1]- الغيار:لفظ يطلق على الملابس التي يرتديها أهل الذمة بلون مغاير للون ملابس المسلمين يقصد تمييزهم عنهم ومن الواضح ان لبس الغيار وغيره من الشروط التي عرفت بالمستحب لعقد الذمة .انظر: قاسم عبدة قاسم، اليهود في مصر من الفتح العربي حتى الغزو العثماني، المؤسسة العربية للدراسات والنشربيروت،ط1 ،1980 م، ص9.

[2]- الزنار: حزام يشده النصراني في وسطه. انظر: معجم الوسيط،مجمع اللغة العربية،مكتبة الشروق العربية، القاهرة، ط4،2004م، ص403.

[3]-النواقيس :مفرد ناقوس هو مضراب النصارى يضربون به اذانا بحلول وقت الصلاة. انظر: النويري شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ)نهاية الإرب في فنون الأدب ،دار الكتب العلمية ،بيروت، ط،1,2004م، ص 175.

[4]- ابن القيم الجوزية محمد ابي بكر بن أيوب(ت 851م)أحكامأهل الذمة، المملكة العربية السعودية، رمادي للنشر، ط1، مج1، 1997م، ص 1190-1191.

الاسلامية المتعاقبة و احترام شعائرها و مقدساتها ، وهذا ما يدفع عن الإسلام والمسلمين شبهة الإكراه الديني الذي تطرق إليه بعض المستشرقين[1].

- الحقوق السياسية : يتمتع أهل الذمة بحق الإقامة في بلاد المسلمين ، مع حمايتهم وحفظ أعراضهم و أنفسهم و أموالهم فهم[2] ، كما يقول الماوردي[3] :"ليكونوا بالكف امنين و بالحماية محروسين" فهم جزء لا يتجزأ من المجتمع الإسلامي و حرمتهم كحرمة المسلمين.

-الحقوق الاجتماعية: تمتع أهل الذمة بحق حسن المعاملة وبرو الإحسان و الرحمة و المشاركة في أفراحهم و تعزيتهم وتلبية دعوتهم.

ويروي لنا المؤرخون في هذا المقام، ما قام به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما مر بباب قوم و عليه سائل، وكان شيخا ضرير البصر فضرب عمر عضده،و قال: من أيأهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي فقال له عمر ما الجاك إلى ما أرى ؟ فقال :اسأل الجزية و الحاجة والسن، فأصطحبه أمير المؤمنين إلى منزله و أعطاه مما وجد، ثم أرسل به إلى خازن بيت المال وقال له انظر هذا و ضرباءه فوالله ما أنصفناه.

إذا أكلنا شبيبة ثم نخذله عند الهرم[4]. ولكن رغم ما لقيه أهل الذمة من معاملات حسنة وما كانت لهم من حقوق التي لم يتمتعوا بها من قبل، إلاأنهم كثيرا ما نقض بعض أهل الذمة ما اشترطه المسلمون عليهم، فما كان من المسلمين إلا طردهم من بلاد المسلمين دون قتالاو غنم أموالهمأوسبي ذرا ريهم[5]، و بهذه الأخلاق عاش أهل الذمة مع المسلمين جنبا الى جنب، فاشتركوا في تخطيط المدن الإسلامية و كانت لهم إسهامات فكرية و دور في تعاملاتهم الاقتصادية و عاشوا جميعا بسلام.

---

[1]- الحسيني شهاب الدين، مبادئ العلاقات و حقوق الأقليات الدينية، دار الهادي للطباعة و النشر و التوزيع،بيروت،2002 م، ص 10.

[2]- ادوارغالي الذهبي، المرجع السابق، ص 95.

[3]-الماوردي، المصدر السابق، ص 182.

[4]- ادوار غالي الذهبي، المرجع السابق، ص 101.

[5]- الماوردي، المصدر السابق، ص 186

ب- الجزية و مقدارها:

الجزية في اللغة ما يؤخذ من أهل الذمة، و هي عبارة عن مقدار من المال الذي يعقد الكتابي عليه الذمة، و هي فعله من الجزاء و كأنها جزت عن قتله[1]أما في الاصطلاح فهو المال الذي يدفعه الذمي و ما شابه، لبيت مال المسلمين جزاء الكف عنهم و دخولهم تحت الحماية و الرعاية [2]، وإلزام الدولة الإسلامية النظر في شؤونهم و ذلك ضمن ضوابط و شروط معينة و يعرفها الماوردي على أنها من اسم الجزاء، و هي موضوعة على الرؤوس، و الجزاء إما على كفرهم لأخذها منهم صغارا، وإما جزاءا على أمننا لهم لأخذها منهم رفقا[3] ، وحسب قول ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري، الجزية هي من جزأت الشيء إذا قسمته يفهم منه على أنأهل الذمة، هم ما بين بقائهم على دينهم، وما بين تواجدهم في دار الإسلام، فألزموا دفع الجزية صغارا و إذلالا، أما بقائهم بين المسلمين ومخالطتهم واطلاعهم على محاسنهم، هو رجاء دخولهم في الإسلام طواعية و هذه هي الحكمة من الجزية [4] .

وعن أصل الجزية ومشروعيتها ففي قوله تعالى:"لُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ "[5].

ودل منطوق الآية على مشروعيتها مع أهل الكتاب ولا يشاركهم فيها احد، أما بخصوص ممن تؤخذ الجزية فبإجماع الفقهاء، من أهل الكتاب العجم ومن المجوس واختلفوا ممن لا كتاب لهم[6].

---

[1]- ابن المنظور، المصدر السابق، مج1، ج8،ص 621.

[2]- أبي يوسف يعقوب ابن إبراهيم،كتاب الخراج، دار المعرفة، بيروت،1979م ، ص 122-125.

[3]- الماوردي ، المصدر نفسه ، ص 181.

[4]- ابن الحجر العسقلاني ، المصدر السابق ،ص441.

[5]- سورة التوبة ، الآية 29.

[6]- ابن رشد الحفيد أبوالوليد محمد بن احمد، بداية المجتهد و نهاية المقتصد مج 2، مطبعة دار السلام ؛القاهرة ، 1995م ، ص993.

أما عن الأصناف من الناس، ممن تجب فيهم الجزية، فان الفقهاء اتفقوا على أنها تجب بثلاث أوصاف الذكورية والبلوغ ، والحرية [1]ولا تجب على الصبيان ولا حتى العبيد واختلفوا في أصناف أخرى مثل المجنون والمقعد والشيخ الفاني ، وأهل الصوامع، هل يتبع بها دينا و كل هذه مسائل اجتهادية ليس فيها توقيت شرعي، وسبب اختلافهم مبني على أنهم أهل قتال أم لا[2] وأول من عقد لهم الذمة هم نصارى نجران، فلقد روي ابو عبيد في كتابه الاموال[3] " اول من اعطى الجزية من اهل الكتاب اهل نجران و هم نصارى " كما ثبت عن النبي عليه الصلاة و السلام امر بأخذ الجزية عن المجوس، فقد ذكر لنا ابو عبيد انه اخذها من مجوس هجر[4]على ان لا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نسائهم[5].

اما عن مقدار الجزية فلم يكن ثابتا او محددا فقد اختلف باختلاف الزمن و المكان فقد كانت معاهدات الصلح بين المسلمين وأهل الذمة تحدد هذا المقدار، ويذكرلنا ابن رشد الحفيد[6]لما سئل عن مقدار الجزية فأجاب: "ان الفقهاء اختلفوا [7]في هذا الأمرفرأي مالك ان القدر الواجب هو ما فرضه عمر بن الخطاب -رضي الله عنه – فأهل الذهب أربعة دنانير واهل الورق اربعون درهما، وقال الشافعي اقله محدود و هو دينار و اكثره غير محدود، اما ابو حنيفة و اصحابه فقالوا : الجزية اثنا عشر درهما، لا ينقص الفقير عن اثني عشر درهما، و لا يزيد الغني على ثمانية واربعون، والوسط اربعة وعشرون درهما، اما احمد بن حنبل فمثل قول ابو حنيفة رحمة الله عليهم جميعا

[1]- القلقشندي أبي العباس أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب السلطانية، القاهرة، 1919م ج13، ص 360.

[2]-ابن رشد الحفيد، المصدر السابق، ص994.

[3]- ابي عبيد قاسم بن سلام (ت224ه) كتاب الأموال، تح : محمد عمارة، دار الشروق، بيروت، ط1، 1989م، ص100.

[4]-هجر: قال ابن الاثير هجر بلد معروف في البحرين، انظر: ابن المنظور، المصدر السابق،مج6،ج51،ص4620

[5]- ابو عبيد قاسم، المصدر السابق، ص105-108.

[6]- ابن رشد الحفيد، المصدر السابق، ص 994.

[7]- القلقشندي، المصدر السابق ، ج13، ص 362-363.

و يرجع سبب الاختلاف، لاختلاف الاثار في هذا الباب، و ذلك كما روى عنه رسول الله صل الله عليه وسلم حينما بعث الى اليمن معاذ و أمره أن يأخذ الجزية عن كل حالم دينا او عدله معافر، و المعافر ثياب من اليمن [1]

أما عن موعد الجزية، فكثيرا ما كانت تؤخر موعد تأديتها، حتى تنضج المحصولات الزراعية فيستطيع أهل الذمة تأديتها دون أن يرهقهم[2] وذلك فقد قال ابو عبيد في هذا الصدد: " انما وجه التأخير الى الغلة رفقا بهم "[3] وهذا يعني ان موعد الجزية لم يحول الحول .

ومنه فالشريعة الإسلامية لما فرضت على أهل الذمة دفع الجزية، لم يكن عقابا لهم [4]في بقائهم على دينهم، بل كانت ضريبة عادلة بكل صورها فالحياة في كل مجتمع في كل عصر تقوم على أساس الحقوق و الواجبات أهل الذمة قد تمتعوا بكثير من الحقوق و عاشوا في ظل التسامح الاسلامي فدفع الجزية مقدار بسيط يدفع سنويا، مقارنة ما يدفعه المسلم من التزامات كالزكاة و الخدمة العسكرية، ذلك ان الذمي معفي منها، ولا تسقط الجزية عنه إلا بدخوله الإسلام أو وفاته.

3- أوضاع أهل الذمة:

يجمع الكثير من المؤرخين على ان اهل الذمة من اليهود و النصارى بصفة عامة؛ عاشوا في المجتمعات الاسلامية عيشة محترمة لا يمسهم سوء ولا يصيبهم اذى الا نادرا ؛ نظرا لما تمتعوا به في ظل الدولة الاسلامية من تسامح ديني و اجتماعي[5]، خلافا لما كان عليه غيرهم من المسلمين في بلاد النصارى ؛حيث ساد التعصب و الاضطهاد ؛ ويذكر "آدم ميتز " في هذا المقام وضعية اهل الذمة في المجتمع الاسلامي قائلا "...ان الكنائس والبيع ظلت في المملكة الاسلامية كأنها خارجة عن

[1]- أبو عبيد قاسم، المصدر السابق، ص 100.

[2]- الخربوطي علي حسن، الاسلام و اهل الذمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1969م، ص 71.

[3]- ابو عبيد قاسم، المصدر نفسه، ص 119.

[4]- اعترف احد المستشرقين و هو المؤرخ توماس ارنولد بان دفع الجزية ليس كما يظن البعض عقابا ، و انما هي مقابل الحماية التي كلفتها لهم الدولة الاسلامية .انظر الخربوطي علي حسن ، المرجع نفسه، ص 68.

[5]- محمد بن احمد بن شقرون، مظاهر الثقافة المغربية، دار الثقافة، الرباط،1986م، ص38-39 .

سلطات الحكومة ... قضت الضرورة ان يعيش اليهود و النصارى بجانب المسلمين فتسبب ذلك في خلق جو من مظاهر التسامح لم تعرفه أوروبا فيالقرون الوسطى "[1]وهذا مظهر من مظاهر التسامح الديني من حيث حرية المعتقد وممارسة الشعائر الدينية واحترام المسلمين لهم.

أما عن حرية أهل الذمة الفكرية فهو ما ذهب احد المؤرخين المحدثين حيث يذكر ان سماحة المسلمين لأهل الذمة لم تقتصر الى حد الاحترام وحسب وانما رقوهم الى مناصب في الدولة نظرا للمكانة العلمية مثل ما اقدم عليه هارون الرشيد حين ولى "يوحنا بن ماسويه " رقابة جميع المدارس، و"جيورجيس بن بختشوع الجندي سابوري الذي أحسن إليه المنصور لما مرِض مَرض الموت وتكفل نقله الى بلده كما طلب، بعدا أشفق عليه المنصورو عرض عليه الإسلام ليدخل الجنة فأبى ورضي أن يكون مع ابائه في الجنة او النار، كما قال ابن بخشوع فضحك المنصور، وامر بتجهيزه ووصله بعشرة الالاف دينار[2].

لقد شمل التسامح اهل الذمة في ظل الاسلام، خاصة اهل الوجاهة والعلم فلم يكن العالم المسلم يتحرج ان يأخذ العلم عن مسيحي حيث ان الفارابي الفيلسوف، قد اخذ بعض علمه من احد نصارى حران، و كان النصارى من جهة اخرى لا يترددون من قراءة التوراة والانجيل على فقيه مسلم [3].

ومن خلال النصوص التاريخية والنوازل الفقهية، كان النصارى يتمتعون كغيرهم من الفئات الاخرى المشكلة للمجتمع في المغرب الاسلامي بمكانة اجتماعية محترمة، وبتسامح تام وتشير احدى النوازل الفقهية.[4]

---

[1]- آدم متز، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، تر:محمد عبد الهادي أبو ريدة ،القاهرة ، دار الفكر العربي، ج1، 1419هـ-1999م ، ص 55.

[2]-حسن الزين، اهل الكتاب في المجتمع الاسلامي، مكتبة المهتدين الاسلامية لمقارنة الأديان، ط1، 1982م، ص 119.

[3]- حسن الزين، المرجع نفسه، ص 120.

[4]- الونشريسي ابو العباس احمد بن يحي (ت914هـ) المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى اهل افريقية و الاندلس و المغرب، اشراف محمد حجي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ج11، 1981م، ص 300.

إن أحد المسلمين كان له جار يهودي تربى معهم، و كانت علاقة الاسرة المسلمة بالجار اليهودي تتسم بالصداقة والود وحسن الجوار كما شارك اهل الذمة في مختلف مناحي الحياة الاجتماعية ؛فمنهم من تقلد الوظائف الحكومية، ومنهم من امتهن المهن على غرار باقي الفئات الاجتماعية دون تمييز. ويلمح الونشريسي إلى وجود بيع في بلاد المغرب، منها بيعة في توات احدى مدن المغرب الاوسط و كان اليهود يؤدون شعائرهم الدينية فيه بكل حرية ؛دون مضايقة من المسلمين ولكن الفقهاء اشترطوا عدم دق النواقيس بعدما افتوهم بناء البيع لكل طائفة[1].

غير أن أهل الذمة استغلوا تسامح السلطات الإسلامية، ولم يلتزموا بما عوهدوا عليه من التشبه بالمسلمين في زيهم، و ركوب الخيل، وما الى ذلك من التجاوزات، وما كان من المسلمين إلا اتخاذ إجراءات ضدهم تردعهم مثل فرض اللباس الخاص الذي فرضه عليهم الموحدون، أو نفيهم الى خارج البلاد الاسلامية اذا لم يسلموا، كإجراء وقائي يحد من خطرهم المتزايد، خاصة في فترات ضعف السلطات الإسلامية.[2]

4- التأثيرات الاجتماعيةالمتبادلة بين المسلمين و أهل الذمة:

بعد التطرق لأوضاع أهل الذمة داخل المجتمع الإسلامي، اتضح أنهم شريحة ذات تأثير داخل المجتمع فهي لم تعش بمعزل عن باقي افراده فقد عاشت في جو من التسامح، وكانت أهم التأثيرات الاجتماعية المتبادلة بين المسلمين واهل الذمة الزواج المختلط، خاصة بين المسلمين والنصارى، وحتى الخلفاء تأثروا بذلك، فالخليفة العادل "ابو محمد عبد الواحد ابن المنصور الموحدي " من أم رومية من سبي شنترين.

وما يؤكد رواج هذه الظاهرة في تلك الفترة أمثلة تناقلتها العامة بينهم عبرت عن حب الرجال للشقراوات وهذه الصفة اختصت بها النساء النصرانيات كما ان التأثير يرجع الى عصرالخلافة الأموية

[1]- الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص 248.

[2]- المراكشي عبد الواحد (ت648هـ) المعجب في تلخيص اخبار المغرب، تح:محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، 1949م، ص 383.

بالأندلس كما شارك المسلمون النصارى احتفالاتهم الدينية وغيرها ومنها عيد العنصرة وعيد المسيح[1]، ففي ليلة عيد الميلاد كان المسلمون واهل الذمة يصنعون نوعا من الثريد مصنوع من خضر متنوعة كالكرنب واللفت والجزر وغيرها ويطبخون عدة انواع من الخضر مجتمعة دون تقطيع ويأكلون هذا الطعام في تلك الليلة كما وانه حلوى لذيذة وفي اليوم الاول من السنة يضع الاطفال اقنعة على وجوههم، ويتوجهون الى الاعيان طالبين الفواكه منهم و ينشدون اغانيهم الصبيانية، وشاركوا ايضا في الاحتفال بعيد دانيسيا وهو احتفال ببدأ اسنان الطفل بالظهور، وهذا النوع من الاعياد مازال الى اليوم في بعض المناطق .[2]

5- دور اهل الذمة في العلاقات الداخلية و الخارجية بالأندلس:

أ- الوضع الداخلي لأهل الذمة:

كان لأهل الذمة دور في ادارة الدولة التي قامت بالاستعانة بهم في الوظائف بالاعتماد على ما جاء في كتاب الاحكام السلطانية للماوردي انه جاز تقليد الذمي وزارة التنفيذ[3]. وكل ذلك بهدف ادماجهم في الحياة العامة وجعلهم يشعرون بقوة الانتماء الى المجتمع و الدولة، بغض النظر عن الديانة التي يعتنقونها. فقد كان لابد من اشراكهم في إدارة الدولة من أجل أن تسود قيم التسامح و روح التفاهم وسط مجتمع شديد الاختلاف.

[1]- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والاندلس خلال عصر المرابطين دار الطليعة،1998م ،ص112.

[2]- الحسن الوزان بن محمد الفاسي، وصف افريقيا. تر: محمد حجي ومحمد الاخضر، دار الغرب الاسلامي، ط2، ج1، 1983م، ص 258.

[3]- الماوردي، المصدر السابق، ص28.

وقبل أن يستعين بهم المسلمون في العلاقات الخارجية استعانوا بهم بالأمور الداخلية كاستعانة الامير عبد الرحمان الداخل[1]بأرطباس بن غيطشة في خدمته، وفي عهد الامير الحكم الربضي[2] نجد القومس (هو رئيس الطائفة المسيحية) ربيع بن تلدف" متولي شؤون النصارى" الذي يعمل في مجالات عدة وكان اهمها تحصيل الضرائب من المسلمين[3]. والخليفة بن عبد الرحمان الناصر عين العالم يحي بن اسحق مناصب عديدة منها خطة الشرطة وخطة الوزارة كما ولاه مدينة بطليوس. وقد أشار بروفنسال الى أن الامير محمد وخلفائه من بعده استمروا في تقديم امناء يدينون بالمسيحية في المناصب الادارية، و الذي سرعان ما انضم اليهم عدد من المحاسبين و الوكلاء اليهود[4].

ولابد من الاشارة أن إقدام الحكام الامويين على إشراك أهل الذمة في تسيير شؤون المسلمين إنما هو محاولة لفهم الواقع المحلي وخصوصية المجتمع و البيئة الاندلسية، و التعبير عنه بهذا الشكل من

[1]- عبد الرحمان الداخل: هو عبد الرحمان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، و يلقب بصقر قريش، ولد سنة(113هـ/731م) كانت أمه مغربية من قبيلة نفزة، عاش في كنف جده بعد وفاة والده، هرب من بطش العباسيين بعد معركة الزاب الى المغرب ثم الاندلس، ابن الفرضي، ابو الوليد عبد الله بن يوسف بن نصي الأزدي ت403هـ/1012م، تاريخ علماء الاندلس، تح: ابراهيم الأبياري، دار الكتب المصري، القاهرة،ج1، 1983م، ص26-27.

[2]- هو الحكم بن هشام بن عبد الرحمان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان: تولى الحكم بعد وفاة أبيه يعرف بالربضي، و يكنى ابو العاص، كان شجاعا أديبا، شاعرا، ابنالآبار، ابو عبد الله محمد بن عبد الله(ت 658هـ/1259م)، الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، القاهرة،1963م، ج1، ص44.

[3]- ابن الخطيب، لسان الدين محمد السلماني(ت776هـ/1347م)، اعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تح: ليفي بروفنسال، دار المكشوف،بيروت، ط2، 1956م، ص15.

[4]- بروفنسال ليفي، تاريخ إسبانيا الاسلامية، ترجمه الى الاسبانية ايميليو جارثيا جومث، تر: علي عبد الرؤوف البمبي وآخرون، طبع الهيئة العامة للشؤون المطابع الاميرية، جدة، ج1، 2000م، ص237.

التسامح، فلم يتردد الخليفة عبد الرحمان الناصر لدين الله[1] في إشراك أهل الذمة في الحكم، فقد أسند ولاية مدينة أبذة[2] الى رجل من العجم[3].

وفي المجال الاقتصادي سمح لهم بالعمل لكسب شأنهم شأن المسلمين، فقد قرر الفقهاء حقهم في التجارات لكن دور النصارى التجاري لم يكن بقوة دور اليهود التجاري، فقد اقتصرت مشاركتهم التجارية على بعض المحلات يعرضون فيها منتوجات متنوعة، و على الصعيد الخارجي فقد شارك النصارى بفعالية كوسيط في التجارة بعيدة المدى بين الاندلس وممالك الشمال النصرانية[4].

اما اليهود فقد أخذوا دورهم في التجارة الداخلية والخارجية وطبعوها بطابعهم الخاص وذلك بربطهم شبكة التجارة في الاندلس بممالك التجارة لدولية في المتوسط واوروبا حتى اسيا، لذا تميز دورهم التجاري بالشمولية والاتساع داخليا وخارجيا وقد وضح ابن حزم انه كان لهم محلات اذ يقول: " لقد كنت يوما بالمرية قاعدا في دكان اسماعيل بن الطبيب الاسرائيلي"[5].

لم يقتصر الدور على المجال التجاري فقد تعداه الى الصناعة والدباغة والاهم من ذلك فقد برز دورهم الطبي فقد احترفها العديد منهم حتى بلغوا المراتب العليا والمتقدمة في بلاطات الاندلس، لقد ارتقى اليهود بالأساليب العلمية العلاج وكشف الامراض وتحضير الدواء و من أشهر الاطباء لديهم

---

[1]- عبد الرحمان الناصر: هو عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان بن حكم الربضي بن هشام بن عبد الرحمان الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الاموي،(ت350هـ)، ابن حزم الاندلسي، علي بن احمد(ت456هـ)، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م، ص100.

[2]- أبذة: مدينة صغيرة تبعد عن بياسة حوالي 14كم الى الشمال الشرقي منها، و هي على مقربة من نهر الوادي الكبير، و هناك خلاف حول بنائها، فمنهم من يقول بانها قديمة، و قد تصالح عليها تدمير مالك الروم مع موسى بن نصير حين دخل الاندلس، ومنهم من يقول اختطها الامير عبد الرحمان بن الحكم سنة(206-238هـ/821-852م) وتممها ابنه محمد بن عبد الرحمان سنة(238-264هـ/852-878م) الادريسي، أبي عبد الله محمد بن عبد الله(ت558هـ او 560هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994م، ج1، ص203.

[3]- ولد آن، أهل الذمة في الاندلس في ظل الدولة الاموية، (138-422هـ/755-1031م)، ص57.

[4]- ريمي، كونستبل أوليفيا، التجارة و التجار في الاندلس، تر: فيصل عبيد الله العبيكان، الرياض، ط1، 2000، ص115.

[5]- ابن حزم الاندلسي، محمد بن علي بن أحمد (ت456هـ/1263م) طوق الحمامة في الألفة و الألاف، ضبطه صلاح الدين الهواري، منشورات مكتبة الهلال،بيروت،2006م، ص370.

ابو الوليد مروان بن جناح حيث ألف كتابا عن العقاقير والموازيين و المكاييل[1]. أيضا حسداي بن يوسف طبيب سرقسطة[2]. ومن الأطباء النصرانيين ربيع بن زيد الاسقف وهو من كبار رجال الدين النصراني في بلاط الخليفة عبد الرحمان الناصر و ابنه المستنصر، وواضع كتاب تفاصيل الازمان ومصالح الأبدان[3].

لكن رغم دورهم البارز في المجال الطبي فقد وقف بعض الفقهاء منهم دورا سلبيا حيث عارضوا استطباب المسلمين عندهم وقد سجل ابن عبدون انزعاجه من ذلك وعدم رضاء وذلك بقوله:" وكان من الحسن أن لا يترك طبيبا يهوديا أو نصرانيا أن يجلس ليطبب المسلمين "[4].

لم يقتصر دور أهل الذمة العلمي على المجال الطبي فقط، بل شمل مجالات متعددة منها ترجمة كتب المؤلفة باللغة اللاتينية بحكم اتقانهم لها من هذه الكتب كتاب التواريخ السبعة في الرد على الوثنيين historiram libri septema dursopaganos الذي ألفه الراهب الروماني الاسباني باولوس اروسيوس وتمت ترجمة هذا الكتاب الهام بأمر من الخليفة عبد الرحمان الناصر لدين الله[5]. و معرفتهم باللغتين العربية واللاتينية ساهمت بنقل الحضارة الاسلامية الى الممالك المسيحية[6]. فكانوا حلقة وصل في عملية نقل العلوم العربية الى المجتمعات الاوروبية و بالعكس. لكن بعض الفقهاء وقفوا ضد ترجمة اليهود والنصارى للكتب العلمية و أنه يجب تخصيصهم بكتب شريعتهم

[1]- ابن أبي أصيبعة، ابو العباس أحمد بن القاسم، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965م، ص498.

[2]- ابن أبي أصيبعة، المرجع السابق، ص499.

[3]- ابن سعيد المغربي، علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك(ت685هـ/1286م) ذيل على رسالة ابن حزم في فضائل الاندلس و أهلها، تق: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد،ط1، القاهرة، 1968م، ص37.

[4]- ابن عبدون، محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي، رسائل اندلسية في أداب الحسبة و المحتسب، نشرها ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، 1955، ص57.

[5]- العبادي، أحمد المختار، التأثير المتبادل في الرواية التاريخية العربية الاسلامية، صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية، مدريد، ع24، 1990م، ص33.

[6]- العبادي، أحمد المختار، في تاريخ المغرب و الاندلس، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص164.

ومنهم ابن عبدون قائلا:"يجب أن لا يباع من اليهود و النصارى كتاب علم إلا ما كان من شريعتهم، فإنهم يترجمون كتب العلوم و ينسبونها الى أهلهم و أساقفتهم و هي من تواليف المسلمين"[1].

و اليهود عاشوا في الاندلس ظروفا ملائمة ساعدت على قيامهم بنهضة علمية ساعدهم فيها الرفاه الاقتصادي[2]. فلم يغب اليهود عن مجال النطق و الفلسفة و ظهر في هذا المجال بحيي بن يوسف بن قاقوذا و قد اطلع على أراء و أفكار الفلاسفة المسلمين و له كتاب الهدايا الى فرائض القلوب[3].

ب- دورهم الخارجي:

بدأ التعاون بين الدولة العربية الاسلامية في الاندلس و أهل الذمة في العلاقات الخارجية في فترة مبكرة، فعندا قامت الخلافة الاموية في الاندلس سنة (316هـ/929م) و عظمت سلطة الدولة ثم احتواء أهل الذمة في الإطار العام للمجتمع، و أصبحت معظم أخبارهم تتعلق بدورهم في سياسة الدولة الخارجية مع ملوك شبه الجزيرة الإيبيرية و سائر الدول الأوروبية، فقد دأبت السلطة الاموية في الاندلس على إشراكهم في الحكم من خلال تكليفيهم بمهام تنفيذ السياسات الداخلية و الخارجية على حد سواء[4].و كان لأهل الذمة دور بارز في ميدان العلاقات الخارجية. حيث كانوا يشاركون في الاستقبالات التي تقام في قصر الخليفة و سفراء الممالك المسيحية و الاوروبية و قد استعان بهم الامويون لمعرفتهم بالأساليب الدبلوماسية، و تمكنهم من اللغات[5].

---

[1]- ابن عبدون، المرجع السابق، ص57.

[2]- حاييم، الزعفراني، يهود الاندلس و المغرب، تر: أحمد شحلان، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 2000م، ج2، ص117.

[3]- بالنثيا، آنخل جونثالث، تاريخ الفكر الاندلسي، تر حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1955م، ص497.

[4]- الطاهري أحمد، عامة قرطبة في عصر الخلافة الاموية، منشورات عكاظ، الرباط، 1989م، ص157.

[5]- ابن حيان بن ابو مروان حيان بن خلف القرطبي(ت469هـ/1076م)، المقتبس من أبناء أهل الاندلس، تح: شالميتا، مدريد،1979م، ج5، ص454.

و العلاقات الخارجية كانت ترتبط ارتباطا مباشرا بالوضع الداخلي عند كل من الاسبان في الشمال، و الوضع الداخلي عند الاندلسيين، و الاستقرار الداخلي في الاندلس ساعدهم على التطور في العلاقات الخارجية و بالتالي ظهور الدور الخارجي لأهل الذمة[1].

و ظهر هذا الدور من خلال السفارات و منها عندما ارسل الخليفة عبد الرحمان الناصر عام(338هـ/939م)، حسداي بن شبروط[2] الى ملك ليون" راميرو" ردا لسفارتهم في طلب الصلح، كما ارسله لعقد السلم مع صاحب برشلونة"شينيير بن غيفريد الافرنجي" حسب ما يرتضيه الناصر من شروط[3]. و كان ملخص تلك الشروط تتمثل في أن يمتنع شينيير عن الدعم و المساعدة الى جميع النصارى الذين في حالة حرب و عدم وفاق مع عبد الرحمان الناصر في الشمال. و يمكن أن تلتمس المكانة التي وصلت اليها قرطبة من حيث القوة و ذلك من خلال فرض الشروط و استجابة الطرف الاخر لهذه الشروط.

كما أرسله في سنة(329هـ/940م) الى جليقية[4] . من أجل عقد الصلح مع صاحبها و السعي لإطلاق سراح الوزير هاشم بن عبد العزيز الأسير لديهم[5]. و من أجل قيام حسداي بإطلاق

---

[1]- الحجي، عبد الرحمان، أندلسيات، دار الرشاد، بيروت، ط1، ج1، 1969م، ص45.

[2]- حسداي شبروط من اليهود، عالم و طبيب وأبرز من مثل الثقافة اليهودية في قرطبة، عمل في خدمة الخليفة عبد الرحمان الناصر و ابنهالحكم المستنصرمن بعده،اجتذب المفكرين، و الشعراء و الفلاسفة اليهود و قام بمهمات دبلوماسية في عصر الخلافة، و كان مشرفاعلى أنشطة الترجمة و يعد دبلوماسيا نشطا(ت 359هـ/969م)، بالينثيا، المرجع السابق، ص489.

[3]- ابن حيان، المصدر نفسه، ص454.

[4]- جليقية: هي مدينة تلي المغرب، و تنحرف الى الجوف، و هي سهل و الغالب على أرضها الرمل، الحميري ، محمد بن عبد المنعم(ت726هـ/1325م) صفة جزيرة الاندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار، نشره: ليفي بروفنسال،القاهرة، 1973م، بيروت 1998م، ص66-67.

[5]- هاشم بن عبد العزيز: هو أخوالقاضي اسلم بن عبد العزيز، و هو أحد رجالات الموالي المروانيةبالأندلس، ابن الآبار، المصدر السابق، ص151.

سراحه، قام بإرسال كتاب الى الخليفة الناصر، يطلب فيه توجيه أساقفة من أهل الذمة بالأندلس الى رذمير للاتفاق على فدائه[1] و قد نجحت السفارة في إطلاق سراح الوزير[2].

كما أرسل الخليفةعبد الرحمان الناصر حسداي بن شبروط في عام(345هـ/956م) ضمن وفد الى أردون بن رذمير ملك جليقية لعقد الصلح.

ومن السفارات التي وردت الى بلاط الخليفة عبد الرحمان الناصر سنة(344هـ/955م) من أردونيو الرابع ملك ليون لطلب الصلح وإقرار السلام، وقد قبل الخليفة عبد الرحمان الناصر، و بادله السفارة في السنة الثانية إرساله سفيره محمد بن الحسين[3] يرافقه حسداي بن إسحاق اليهودي وذلك لإحلال السلام بين الطرفين في ليون و ببعض الشروط، وعلى ما يبدو أن السفارة نجحت في مهنتها وذلك من خلال هدوء الاوضاع بين الطرفين بعد عودة السفارة.

وعندما حدثت ثورة في مملكة ليون سنة(347هـ/950م) أدت الى خلع شانجة (السمين) ونصبوا مكانه أردونيو الرابع فاستجار الملك المخلوع بجدته ملكة نافار التي بدورها استنجدت بالخليفة عبد الرحمان الناصر، لإمدادها بالقوة الكافية لإرجاع عرش شانجة ومعالجته من مرض البدانة، فأرسل الخليفة الناصر سفيره حسداي بن شبروط الذي فرض شروط قبلت بها تمثلت بتسليم بعض الحصون، وأمده بما يحتاج اليه لاسترجاع ملكه[4].

ومن الذين برعوا في العلاقات الخارجية من أهل الذمة إبراهيم بن يعقوب الاسرائيلي الطرطوشي الذي اتجه نحو روما 350هـ/961م لمقابلة البابا يوحنا العاشر و توالت زيارته له عام

[1]- أرسل الخليفة عبد الرحمان الناصر وفدا يتألف من عباس بن المنذر جاثليق، أسقف اشبيلية، و بعقوب بن مهران أسقف بجانة، و عبد الملك بن حسان اسقف البيرة، الحميري، المصدر السابق، ص37.

[2]- ابن حيان، المصدر السابق، ص474.

[3]- محمد بن الحسين بن محمد بن أسد بن محمد إبراهيم بن زياد بن كعب بن مالك التميمي الطبني الزابي، كان شاعرا و أديبا، كان حافظا للأخبار عالما بالنسب،توفي سنة(394هـ/1003م)، آل مصطفى، ابراهيم محمد،سفارات الاندلس الى ممالك أوروبا المسيحية الكاثوليكية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2012م، ص148.

[4]- عنان محمد عبد الله، دولة الاسلام في الاندلس، مكتبة خانجي، القاهرة، ط3، 1988م، ص593.

354هـ/965م، و سنة 362هـ/972م[1] و إن إرسال شخصية من أهل الذمة لمقابلة البابا يوضح الدور الكبير الذي تمتع به إبراهيم بن يعقوب الإسرائيلي الطرطوشي[2].

و في سنة 345هـ/956م قام ربيع بن زيد الاسقف البيرة[3] بعدة زيارات بتكليف من الدولة الاموية اهمها زيارته الى هوتوا امبراطور ألمانيا و ذلك بهدف عقد اتفاقية معه باسم الدولة الاموية و تم له النجاح. كما اتجه الى القسطنطينية و قد عاد محملا بالهدايا الى الخليفة الاموي. و ذكر ابن خلدون في كتابه العبر أن هشام بن كليب بن الجثليق قد صحب سفراء قسطنطين امبراطور الروم الذين وفدوا الى الخليفة الناصر سنة 337هـ/948م[4]، و كانت مشاركتهم هذه لما لهم القدرة على الترجمة و اعتمد عليهم كثيرا في الامور السياسية حيث لعبوا دورا في دعم الخليفة الناصر لأردون المنازع لابن عمه شانجة بن رذمير ملك ليون في سبيل استرداد عرشه[5]. فدورهم لم يقتصر على الترجمة بل تعداه الى لعب دور الوسيط في تحسين العلاقات الخارجية و دعم طرف ضد الآخر.

لكن بعد حكم الخليفة الحكم المستنصر تقلصت العلاقات الخارجية السلمية، و هذا يعود الى شخصية الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر فبدأ دور أهل الذمة يتقلص خارجيا لان دورهم كان مقتصرا أيام السلم فقط[6]. و في عهد الحاجب عبد الملك بن أبي عامر اقتصر على وساطة عبد الملك لحل الخلاف بين قومس جليقية وقومس قشتالة وأرسل عبد الملك لهذه المهمة عددا من نصارى قرطبة

---

[1]- كواتي مسعود، المرجع السابق،ص255.

[2]- ابراهيم بن يعقوب الطرطوشي: هو أحد رعايا الخليفة و يسمى أيضا ربيع أو ريفا الأسقف و كان عالما متمكنا و ذا حظوة و تقدير لدى الخليفة عبد الناصر، و كان يجيد العربية و اللاتينية على حد سواء، و لقبه الطرطوشي، آل مصطفى، المرجع السابق، ص143.

[3]- البيرة: تقع في جنوب الاندلس، و قد أنشأها الامير عبد الرحمان الداخل و أسكنها مواليه، وقد أحرقها الأمازيغ أيام الفتنة في الاندلس بينها و بين قرطبة 145 كم، الحميري، المصدر السابق،ص29.

[4]- ابن خلدون، عبد الرحمان بن محمد(ت 808هـ/1405م)، تاريخ أبن خلدون المسمى العبر و ديوان المبتدأ و الخبرفي أيام العرب و العجم و البربرو من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بولاق، القاهرة،ج2،1284هـ، ص143.

[5]- ابن خلدون، المصدر السابق،ج4، ص 145.

[6]- عنان، المرجع السابق، ص583.

ومنهم إصبغ بن عبد الله بن نبيل الذي حكم لصالح قومس جليقية[1] و هذا يدل على استمرار القوة والمنعة التي كانت عليها الاندلس من جهة و الى حنكة و دهاء أهل الذمة من جهة أخرى وفي مجال العلاقات الخارجية لم يقتصر دورهم على الجانب الايجابي من خلال السفارات بل أنه كان لهم دور سلبي من خلال المشاركة في المعارك و الثورات التي قامت ضد الامويين في الاندلس فمنهم كانت لديهم عدم الرغبة بالتعايش تحت سيطرة المسلمين فقاموا بمشاركة الممالك النصرانية في الشمال، إضافة الى ثورات المستعربون (ثورات طليطلة- ابن حفصون) و مساندة كل المعارضين للسلطة[2].

[1]- ابن عذاري احمد بن محمد المراكشي، البيان المغرب في اختصار اخبار ملوك الاندلس و المغرب، ج2، ص350.

[2]- عنان، المصدر السابق، ص 354.

الفصل الأول:

الكنائس في الأندلس مفهومها وأوضاعها

المبحث الأول: مفهوم الكنائس و تاريخ ظهورها.

المبحث الثاني: أنواع الكنائس في المسيحية و انشقاقها.

المبحث الثالث: عناصر أهل الذمة و علاقتهم بشرائح المجتمع الأندلسي.

اختلفت تسمية الكنيسة بين المصادر العربية و الأجنبية غير أنها لا تخرج عن مفاهيم متقاربة، فنجد تعريفها في بعض المعاجم فنجد الكنيسة : متعبد اليهود و النصارى، شبه هودج، يغرز في المحمل أو في الرحل قضبان و يلقى عليه ثوب يستظل به الراكب و يستتر به و كنيس (اسم):الكنيس بيعة،معبد اليهود أو النصارى أو الكفار.[1]

ن بين الكلمات القليلة التي كثيراً ما تستخدم من قِ بَ ـل المسيحيين، كلمة "الكنيسة"، ومع الأسف، القليلون أيضاً هم هؤلاءالذين يفهمون حقاً هذه الكلمة كمايعرِفها الكتاب المقدس، ويطبقون معناها الكتابي بشكل عملي. بمعرفة أهمية الفهم الواضح لما يقوله الكتاب المقدس عن الكنيسة[2].

المبحث الأول: مفهوم الكنائس و تاريخ ظهورها:

1- تعريف الكنيسة و تاريخ تأسيسها:

بنظرة سريعة إلى تعريف الناس لكلمة "كنيسة" تظهر أن الغالبية العظمى يستخدمون هذه الكلمة إما للإشارة إلى مبنى تقام فيه العديد من الطقوس الدينية أو إلى جزء في عنوان العديد من الطوائف، إلا أن هذا الاستخدام لكلمة كنيسة لا يتوافق مع ما يعرفه الكتاب المقدس بالكنيسة، ومن ثم بات من المهم دراسة معنى هذه الكلمة بشكل أفضل.

2- كلمة"Ekklesia"ومعناها العام:

كلمة "كنيسة" هي ترجمة الكلمة اليونانية " Ekklesia" والتي تعني "ما ينادى به أو ما يستدعى، كما يقول Bullingerw e" "[3]أن هذه الكلمة كانت تستخدم في اي محفل، وخصوصاً من المواطنين، أو مجموعة مختارة منهم". استخدمت هذه الكلمة 115 مرة في العهد الجديد، ثلاثة منهم ترجموا إلى كلمة "محفل" 112 إلى "كنيسة"، ويكفي أن ننظر إلى الثلاث مرات التي ترجمت

[1]- معجم المعاني الجامع.

[2] -www.al-kalema.org/ 26 /03/2019 .18 :30h://http

[3]-young's concordanoe to the bible ;p59

فيهم هذه الكلمة إلى "محفل" حتى يظهر لنا أن هذه الكلمة لم تستخدم فقط في الإشارة للتجمعات المسيحية[1].

3- كلمة"ekklesia"ومعناها في كلمة الله:

بعدما رأينا ما تعنيه كلمة "ekklesia" بشكل عام، حان الوقت الآن لمعرفة معناها في كلمة اللهوخصوصاً في هذا الجزء من الكلمة الذي يشير إلى عصر النعمة الذي نعيش فيه. وهناك وعلى الرغم من أن هذه الكلمة تعني أيضاً مجمع، إلا أن المجمع هنا خاص، أعضائه هم جميعالمولودين ثانية أي كل هؤلاء الذين اعترفوا بأفواههم بالرب يسوع وآمنوا في قلوبهم بأن الله أقامه من بين الأموات هناك مصطلح آخر يستخدمه الكتاب المقدس لتعريف المؤمنين بالمسيح حول العالموهو "الجسد" أو "جسد المسيح"، ويظهر تساوي مصطلحات "الكنيسة" و"الجسد" و"جسد المسيح" وأن جميعها تستخدم لتعريف جميع المسيحيين معاً في المجمل من الفقرات العديدة في الكتاب[5].

4- الكنيسة الواحدة الأولى:

أ- الوعد بتأسيسها:

لقد وعد رب المجد يسوع المسيح تلاميذه بتأسيس كنيسته على صخرة الايمان وكان ذلك اثناء حديثه إلى بطرس الرسول كما جاء في انجيل معلمنا متى البشير : "ولما جاء يسوع إلى نواحي قيصرية فيلبس سأل تلاميذه قائلا من يقول الناس اني انا ابن الانسان فقالوا: قوم يوحنا المعمدان و آخرون إيليا....فقال لهم و انتم من تقولون انا فأجاب سمعان بطرس وقال انت هو المسيح ابن الله الحي فأجاب يسوع و قال طوبى لك يا سمعان بن يونا، ان لحما ودما لم يعلن لك لكن أبي الذي في السموات، و أنا أقول لك ايضا انت بطرس و على هذه الصخرة أبني كنيستي و ابواب الجحيم لن تقوى عليها.

[1] - New wilson's old testament word studies ; kregel publications ; grand rapids ; michigan ; p92

[5] - www.al-kalema.org/ 26 /03/2019 .18 :30 h://http

فقد وعد رب المجد انه يبني كنيسته على صخرة الايمان، و كنيسته هنا تفيد انها كنيسة واحدة ذات مبادئ واحدة و ايمان واحد و عقيدة واحدة ورب واحد.

و يعتبر هذا اليوم يوم الخمسين او يوم حلول الروح القدس هو يوم تأسيس الكنيسة الفعلية حيث صار اعتماد الرسل من الروح القدس، و اهم ماكان يميز تلك الكنيسة انها كانت بنفس واحدة لا شقاق ولا خلاف بينهم بل كان الحال اكثر من ذلك فلم يكن اتحادهم في الامور الروحية فحسب بل حتى الامور المادية فيقول لوقا الرسول: " و جميع الذين امنوا كانوا معا و كان عندهم كل شيء مشتركا و الاملاك و المقتنيات كانوا يبيعونها و يقسمونها بين الجميع كما يكون لكل واحد احتياج، و كانوا كل يوم يواظبون في الهيكل بنفس واحدة"[1].

تاريخ تأسيس الكنيسة:

ومن الجدير بالذكر أن تأسيس الكنيسة ليس كما يظن البعض أنه يوم البندقسطي (يوم الخمسين، يوم حلول الروح القدس)، ولكن مادامت الكنيسة هي جسم المسيح، والمسيح هو الرأس؛ إذن بدأت الكنيسة المسيحية بميلاد السيد المسيح؛ بميلاد الرأس.. ويكون أول المسيحيين أو الإنسانة المسيحية الأولى هي السيدة العذراء مريم، لأنها كما قالت لها أليصابات: "أَيْ نَ لِي هذَا أَنْ تَ أْتِيَ أُمُّ رَبِّي إِلَيَّ؟" (إنجيل لوقا 1: 43)، إذ ا آمنت أنها أم ربها، فأصبحت عضوًا في الكنيسة المقدسة.. وبعد ذلك بمرور الزمن، أيضًا يوحنا المعمدان آمن وشهد بأن: " هذَا هُوَ الَّذِي قُلْتُ عَنْهُ: إِنَّ الَّذِي يَ أْتِي بَ عْدِي صَارَ قُدَّامِي، لأَنَّهُ كَانَ قَبْلِ ي" (إنجيل يوحنا 1: 15، 27، 30)، ووقت العماد قال له: أَنَا مُحْتَ اجٌ أَنْ أَعْتَ مِدَ مِنْكَ" (إنجيل متى 3: 14)، ثم دخل في الإيمان الاثني عشر.. ثم السبعون رسولًا (كما في لوقا أصحاح 10)، ثم مجموعة من السيدات الفضليات (لوقا 8).. وكثر عدد الذين يؤمنون به مثل بيت لعازر وأخته مريم ومرثا، وحتى بعد صلبه أو قبل ذلك: نيقوديموس ويوسف الرامي.. وهكذا تكوَّن الأعضاء الأول للكنيسة المسيحية، وظلوا ينمون في العدد. وأصبح من

[1]- القمص زكريا بطرس، موجز تاريخ انشقاق الكنائس، ط1، ص7-9.

ميزات الكنيسة الأولى، أنها تعمل بالروح القدس -هذه ناحية- وأنها تنمو في العدد -هذه ناحية أخرى- وأنها كثيرة المعجزات -من ناحية ثالثة[1]

1- الهرطقات و المجامع المسكونية:

لقد ظهرت في الكنيسة خلال عصورها الاولى عدة هرطقات نتيجة للتفاسير و التأويلات غير الصحيحة لمفهوم آيات الكتاب المقدس، و لكن الكنيسة إزاء هذه الهرطقات كانت تدعو إلى اجتماعات تعرف باسم المجامع لبحث هذه الهرطقات و اصدار الحكم بصددها.

و كانت هذه المجامع على نوعين:

مجامع مسكونية: وكانت تشمل ممثلي كل الكنائس.

مجامع مكانية او محلية: و كانت تعقد في الاقليم و تجمع اساقفة و قسوس كنيسة هذا الاقليم، و يختلف المؤرخون في عدد المجامع المسكونية فبعضهم يقول انها سبعة و آخرون يقولون انها 19 مجمعا[2].

و كما ان المؤرخين يختلفون في عددها هكذا تختلف الكنائس في الاعتراف بها اما الكنيسة القبطية فلا تعترف الا بالأربعة الاولى منها وهي:

1- مجمع نيقية سنة 325م
2- مجمع القسطنطينية سنة 381م
3- مجمع افسس الاول سنة 431م
4- مجمع افسس الثاني سنة 449م[3].

[1] -https://st-takla.org/26/03/2019 ;22 :11

[2]- احمد شلبي، مقارنة الاديان المسيحية، ص166.

[3]- القمص زكريا بطرس، المرجع السابق، ص12-13.

المبحث الثاني: انواع الكنائس في المسيحية و انشقاقها:

و هي تنحصر جميعها في ثلاث كنائس:

1- الأرثوذكسية الشرقية:

هي مذهب من المسيحية يُرجع جذوره بحسب أتباعه إلى المسيح والخلافة الرسولية والكهنوتية. وكانت المسيحية كنيسة واحدة حتى الانشقاق الذي حصل بين الكنيسة الغربية (الرومانية الكاثوليكية والشرقية الرومية الأرثوذكسية).

ومعنى كلمة أرثوذكسية باليونانيَّة :(Ορθοδοξία) الرأي القويم، أو الإيمان المستقيم .

الأرثوذكسية الشرقية هي ثاني أكبر الكنائس المسيحية بعد الكنيسة الكاثوليكية في العالم بالمقابل تتخطى المذاهب البروتستانتية مجتمعة الكنيسة الأرثوذكسية، وتتراوح أعداد أتباع الأرثوذكسية الشرقيين بين 223مليونًا و300 مليون، وانتشرت الأرثوذكسية الشرقية في روسياوبلاد البلقان واليونان وعموم الشرق الأدنى، أما المسيحيون التابعين للكنيسة الأرثوذكسية والساكنين في البلدان العربية فيطلق عليهم اسم كنيسة الروم الأرثوذكس بسبب أنهم يتبعون الطقوس الدينية اليونانية البيزنطية. ويعيش معظم المسيحيين الأرثوذكس الشرقيين في أوروبا الشرقية واليونان والقوقاز، مع مجتمعات أصغر في المناطق البيزنطية السابقة في بلدان شرق المتوسط وشمال أفريقيا، وإلى درجة متناقصة أيضًا في الشرق الأوسط بسببالاضطهاد، هناك أيضا العديد في أجزاء أخرى من العالم ، تشكلت مجتمعات أرثوذكسية شرقية خلال الهجرة والشتات والتحويلات الدينية والنشاط التبشيري[1].

2- الكنيسة الرومانية الكاثوليكية:

الكاثوليكية باليونانية:(καθολικισμός) هو مصطلح واسع يصف مجموع المؤمنين، ومؤسسات، وعقائد، ولاهوت، وقداس، وأخلاق، وقيم الروحية للكنيسةالرومانيّة الكاثوليكية يصف مصطلح الكاثوليكية جميع الكنائس المسيحية التي تقر بسيادة البابا وهي أكبر الكنائس المسيحية، مع

[1] - OrthodoxDenomination 26/03/2019 ;22 :38 نسخة محفوظة 29 على موقع 2017 يناير واي باك مشين.

ما يقرب من 1.3 مليار كاثوليكي معّمد رأسهاهو البابا أسقف روما وبحسب تقليدها الكنسي خليفة بطرس تلميذ يسوع المسيحلقبها الرسمي هو الكنيسة المقدسة الكاثوليكية الرسولية . وباعتبارها "أقدم مؤسسة دولية تعمل باستمرار"فقد لعبت دوراً بارزاً في تاريخ وتطور الحضارة الغربية إلى جانب الأرثوذكسية الشرقيةوالبروتستانتية،تتبعها في الشرق كنائس عديدة في شراكة كاملة معها تعرف بالكنائس الكاثوليكية الشرقيةعلى مر القرون طورت الكنيسة الكاثوليكية منظومة لاهوتية معقدة وثبتت بنية إدارية فريدة تحكمها البابوية أقدم ملكية مطلقة مستمرة في العالم، رئيسها الحالي هو البابا فرنسيس،وتقع الإدارة المركزية للكرسي الرسولي في مدينة الفاتيكان.[1]

3- الكنيسة البروتستانتية:

كلمة لاتينية معناها الاحتجاج و هي أحد مذاهب وأشكال الإيمان في الدين المسيحيتعود أصول المذهب إلى الحركة الإصلاحية التي قامت في القرن السادس عشر هدفها إصلاح الكنيسة الكاثوليكيةفي أوروبا الغربية، وهي اليوم واحدة من الانقسامات الرئيسية في العالم المسيحيجنباً إلى جنب الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية الشرقية.

أبرز مقومات فكر البروتستانت اللاهوتي هي أنّ الحصول على الخلاص أو غفران الخطايا هو هديّة مجانيّة ونعمة الله من خلال الإيمان بيسوع المسيح مخلصًا، وبالتالي ليس من شروط نيل الغفران القيام بأي عمل تكفيري أو صالح؛ وثانياً رفض «السلطة التعليمية» في الكنيسة الكاثوليكية والتي تنيط بالبابا القول الفصل فيما يتعلق بتفسير الكتاب المقدسمعتبراً أنّ لكل أمرئ الحق في التفسيروثالثاً أنّ الكتاب هو المصدر الوحيد للمعرفة المختصة بأمور الإيمان؛ وعارض رابًعا سلطة الكهنوت الخاص باعتبار أن جميع المسيحيين يتمتعون بدرجة الكهنوت المقدسة، وخامسًا سمح للقسس بالزواج. - الكنيسة الأرثوذكسية : ظهرت عقب الانشقاق الذي وقع عام 1054م ويعتقد أتباع هذه الطائفة أنهم وحدهم هم الذين يدينون بالنصرانية الصحيحة.

[1]- كيف بنت الكنيسة الكاثوليكية الحضارة الغربية نسخة محفوظة20 يناير 2018 على موقع واي باك مشين. 23:18

-الكنيسة الإنجليزية: تأسست هذه الكنيسة في القرن السادس عشر الميلاد بعد أن دب الخلاف بين هنري الثامن و روما، و من أتباع هذه الكنيسة من يتمسك بالتقاليد الكاثوليكية بينما يصر آخرون على الانضواء تحت طائلة التعاليم البروتستانتية.

- الكنيسة اللوثرية : أسسها مارتن لوثر و فيليب ميلنشتون عام 1530م بعد الانفصال عن روما، و يؤمن أتباع هذه الكنيسة بأنهم مؤاخذون على أعمالهم و مسئولون عنها أمام الله.

-الكنيسة المشيخية: أسسها جون كالفين في جنيف في ثلاثينيات القرن السادس عشر الميلادي، و يعتقد أتباعها بوجوب الإيمان بالقضاء و القدر.

- الكنيسة الميثودية: تأسست في إنجلترا على يدجون ويزلي عام 1729م ويؤكد أتباع تلك الكنيسة على الخلاص الشخصي المباشر عن طريق المسيح.

-الكنيسة الأسقفية البروتستانتية: تأسست في جيمس تاون بالولايات المتحدة الأمريكية خلفا للكنيسة الإنجليزية.

-الكنيسة الكاثوليكية الرومانية: تعد من أكثر الكنائس النصرانية انتشارا وكان ظهورها على يد القديس بطرس الذي قدم إلى روما في العقد الخامس الميلادي، و قد اعترفت هذه الكنيسة بالإنجيل بوصفه كلام الرب إلى جانب التعاليم التي خلفها المسيح، وتتسم هذه الكنيسة بوجود مراتب من التدرج الكنسي[1].

انشقاق الكنائس:

1- بدء الانشقاق:

لقد كانت الكنيسة تحافظ جاهدة على دوام وحدتها فما ان تقوم بدعة لتبلبل الافكار وتصدع بناء الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية كنيسة الله، حتى يهب اساقفة الكنائس و ينادوا

[1]- معجم المصطلحات الفقهية.

بضرورة عقد اجتماع عام للنظر في البدعة و مبتدعها و يصدروا احكامهم فيها ليعيدوا تثبيت الحقائق الايمانية الاولى.

ولكن ما من شك ان هذه البدع كانت اول معول هدم وحدة الكنيسة و اول سهم صوب إلى قلب الام فمزقه فمن جراء هذه البدع و از اء اصدار الاحكام فيها حدثت خلافات و قد بدأ هذا الاختلاف بمجمع خلقيدونية الذي يعتبر أول خطوة في طريق الانشقاق[1].

2- مجمع خلقيدونية سنة 451م:

أ- سبب انعقاده: لم يقبل بابا روما قرارات المجمع المسكوني الرابع (مجمع افسس الثاني سنة449م) الذي عقد من اجل النظر في التماس اوطاخي الذي كان قد نادى كما مر بنا أن السيد المسيح بعد تجسده اصبح له طبيعة واحدة (وهذا يوافق العقيدة) و لكنه انحرف فقال ان الناسوت قد تلاشى في اللاهوت بمعنى انه صار اختلاط و امتزاج و تغيير في الاتحاد (وهذا يخالف العقيدة) و من اجل ذلك او ضح البابا ديسقوروس رئيس مجمع افسس الثاني الايمان القويم فقرر المجمع ان السيد المسيح بعد تجسده صار اتحاد اللاهوت و الناسوت في طبيعة واحدة بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ورجع اوطاخي عن فكرته و امن بمنطوق المجمع.

ولكن بابا روما رفض هذا المنطوق و اتبع اسقف القسطنطينية (فلابيانوس الذي كان قد حرم اوطاخي) معتنقا عقيدة اخرى و هي ان السيد المسيح بعد تجسده كان له طبيعتين و مشيئتين(وهذا يخالف الايمان القويم)[2].

ب- الداعي لانعقاد المجمع:

ولقد دعا الامبراطور مرقيانوس و الإمبراطورة بولخيريا لانعقاد هذا المجمع بناء على طلب اسقف روما.

[1]- زكريا بطرس، المرجع السابق، ص 25.

[2]- متولي شلبي، اضواء على المسيحية،ص 104-105.

ت- مكان و تاريخ انعقاده:

عقد هذا المجمع في مدينة خلقيدونية سنة451م، و كان عدد الحاضرين 330 اسقفا(في رواية) 600 اسقف في رواية اخرى وكان حاضرا البابا ديسقوروس بابا الاسكندرية الذي دافع عن الايمان دفاعا مستميتا ولكن از اء حيل الاخرين ذهبت صيحاته ادراج الرياح[1].

ث- قرارات المجمع:

وقد قرر المجمع الاتي:

- إلغاء قرارات مجمع افسس الثاني[2]
- تبرئة فلابيانوس اسقف القسطنطينية
- حرم اوطاخي رغم اعترافه بقرارات المجمع النيقي
- عزل ديسقوروس البابا و نفيه مدعين انه متشيعا لبدعة اوطاخي[3].

3- انشقاق الكنيسة الكاثوليكية:

رأينا فيما سبق كيف تدخلت الاغراض والمطامع الشخصية في التفرقة بين صفوف الكنيسة الواحدة، رأينا مجهودات بابا روما ضد البابا ديسقوروس لا لشيء سوى الغيرة و الانانية(فقد اوكل الامبراطور إلى ديسقوروس رئاسة مجمع افسس الثاني فعز على بابا روما الذي كان يطمع في هذا) فعمل على سحق ديسقوروس و تم له ذلك في مجمع خلقيدونية حيث استباح له ضمير خان يقسم الكنيسة إلى شطرين و لكن نار الغيرة لم تقف عند هذا الحد فنظر بابا روما إلى بطريرك القسطنطينية(عاصمة الدولة الرومانية في ذلك الحين) وما وصل اليه من مركز مرموق اقره مجمع خلقيدونية 451م فمنح بطريرك القسطنطينية حق الزعامة و التقدم، فاحتج اسقف روما و وقف

[1]- محمد ابو زهرة، محاضرات في النصرانية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية و الافتاء و الدعوة و الارشاد، المملكة العربية السعودية، الرياض،1404هـ، ط4، ص126-127.

[2]- محمد الحاج، النصرانية من التوحيد الى التثليث، ص186.

[3]- متولي شلبي، المرجع السابق، ص 105-106.

الخصمان وجها لوجه في نضال و شجار حول لقي " الاعظم" و نسوا ما قاله رب المجد لتلاميذه عندما اصابتهم هذه النوبة الكبريائية:"انتم تعلمون ان رؤساء الامم يسودونهم و العظماء يسلطون عليهم، فلا يكون بل من اراد ان يكون فيكم عظيما فليكن لكم خادما ، و من اراد ان يكون فيكم اولا فليكن لكم عبدا".

ثم من جهة اخرى قام شجار آخر عنيف بين الكنيستين حول اضافة كلمة إلى قانون الايمان و في كلمة الابن التي اضافتها كنيسة روما عند القول" نعم نؤمن بالروح القدس الرب المحي المنبثق من الاب" و هنا تضيف كنيسة رومية كلمة "الابن" فيقولون المنيثق من الاب و الابن و هذا يخلف الانجيل قرارات المجامع الاولى و اعترضوا ايضا على بعض العادات كضرورة بقاء الكهنة غير متزوجين...الخ و ظل النزاع قائما بين الكنيستين حتى سنة 1053م حيث اصدر بابا روما حكم الحرمعلى اسقف القسطنطينية فلم يكن من هذا الاخير الا ان اذاع إلى العالم ان كنيسة روما قد هرطقت.

و كان نتيجة هذا الصراع انقسام آخر في الكنيسة فانفصلت كنيسة رومية و سميت الكنيسة الكاثوليكية او الغربية و انفصلت هذه الكنيسة عن الكنيسة القسطنطينية التي سميت كنيسة الروم و سمت نفسها الكنيسة الارثوذكسية الخلقيدونية[1].

4- انشقاق الكنيسة البروتستانتية:

اوضحنا في الفصل السابق كيف انشقت الكنيسة الكاثوليكية وهنا نرى كيف تطورت الامور فيها حتى انشقت منها البروتستانتية .

أ- فساد البوابة:

من يقرأ التاريخ يجد أن كنيسة روما وجهت كل مجهوداتها نحو السياسة والسيطرة على الاباطرة واخضاعهم تحت سلطانها فادى هذا إلى نزاع شديد بين السلطتين الدينية والسلطة الحاكمة كان نتيجة ضعف البوابة وانحلالها . وساعد على هذا الضعف اعتلاء كرسي البابوية أشخاص ممن لا

[1]- زكريا بطرس، المرجع السابق، ص33.

أخلاق لهم فساءت أحوال كنيسة رومية ودب فيها الفساد، وتطرق هذا الفساد إلى جميع الميادين الدينية في أوروبا وفسدت ايضا الرهبنة وساءت الأحوال الدينية في الكنيسة إكليروسا وشعباً.

ب- محاولات الإصلاح:

وقد قامت عدة محاولات تدعوا إلى إصلاح حالة الكنيسة الكاثوليكية ولكن بكل أسف نرى أن بعض هذه المحاولات قد حادت هي الأخرى عن جادة الصواب.

ويمكننا أن نخلص هنا المحاولات التي قامت في ثلاثة فئات:

1) بعض المصلحين رأوا أن خير وسيلة للإصلاح هي البدء بحياتهم الشخصية حتى يصبحوا مثالا صالحا فيرى الناس أعمالهم الصالحة فيمجدوا الله في السماء فعاهدوا انفسهم ان يحيوا حياة التضحية و التأثير في الآخرين بمثلهم الصالح.

2) و هناك فريق آخر أراد الاصلاح بان شهر بمساوئ العصر و لكنه ظل خاضعا لسلطة البابا و لنظم الكنيسة.

3) اما الفريق الثالث فقد انحرف في تعاليمه فانكروا سلطة البابوية ، وانكر العقائد والتقاليد و اعتبر الكتاب المقدس هو المرجع الوحيد لكل العقائد و التعاليم الكنسية ومنهم (جون ويكلف) في انجلترا و (جون هوس) في بوهيميا، وقد ظهر هذان الاثنان في القرن الرابع عشر، وقد نسج على منوالهما(مارتن لوثر) في القرن السادس عشر، وهو الذي انشق عن الكنيسة الكاثوليكية وكون الكنيسة البروتستانتية[1].

ت- الاسباب الخفية لانشقاق الكنيسة البروتستانتية:

هذه الاسباب تتعلق بالرهبنة عامة و بالراهب مارتن لوثر خاصة فعندما ساءت احوال الكنيسة الكاثوليكية اصبح الرهبان طبقة ممقوتة فتحولت مثلهم من ترك العالم بما فيه من اجل عشرة الرب الصافية إلى ان اصبح كل من يئس من الحياة او اراد الهروب من المسؤولية لجأ إلى الاديرة على انه لم تحرم الاديرة من وجود من هو متمسك بالبر و الصلاح.

[1]- زكريا بطرس، المرجع السابق، ص 35.

ث- الاسباب المباشرة لانشقاق الكنيسة البروتستانتية:

السبب المباشر الذي دعا مارتن لوثر على ترك الرهبنة وشق عصا الطاعة و الخروج عن الكنيسة الكاثوليكية ليؤسس الكنيسة البروتستانتية هذا السبب هو صكوك الغفران.

ج- صكوك الغفران:

أمن الكاثوليك أن الانسان لابد أن ينال جزاء ما فعله من شر في حياته، فأما ان يكون هذا الجزاء في الدنيا او بعد الموت حتى يطهر الانسان من شره بعد الموت بعقابه فترة من الزمان و تعرف عندهم (بالمطهر) ثم يذهب بعدها الانسان للحياة الابدية[1].

وفي هذه الاثناء كان مارتن لوثر ان الذين كانوا يعترفون عليه تائبين قد تركوه مقدمين صكوك غفرانهم بديلا، فشعر انه اهين في صميم عمله و اقدس واجباته فلم يرق هذا العمل في نظره و اعلن معارضته للبابا و خروجه عن الكنيسة الكاثوليكية[2].

ح- شطط مارتن لوثر:

هذه المعركة التي خاضها مارتن ضد البابا قادته إلى الشطط الذي آل اليه امره فيما بعد، فاعلن ان البابوية ليست ذات مصدر إلهي، و عندما استدعاه البابا إلى روما رفض ذلك.

ثم زاد في عناده و انحرف في تعليمه فكان من جراء هذا كله أن حرمه البابا سنة 1526م و أمر بإحراق كل كتاباته فما كان من لوثر إلا أن أحرق (كتاب قانون الكنيسة الكاثوليكية) وانفعل أتباعه وأحرقوا الرسالة البابوية[3].

---

[1]- جاد طه، محاضرات في تاريخ اوروبا الحديث، كلية الآداب، جامعة عين الشمس، القاهرة، 1997.

[2]- شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، تاريخ اوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000.

[3]- Brecht, Martin. (tr. Wolfgang Katenz) "Luther, Martin," in Hillerbrand, Hans J. (ed.) *Oxford Encyclopedia of the Reformation*. New York: Oxford University Press, 1996,p 463.

خ- انتشار المذهب الجديد:

و قد عضد الناس لوثر و انضموا إلى صفوفه مدفوعين بعوامل مختلفة منها:

1) عضده البعض بسبب كراهيتهم وتذمرهم من الضرائب التي فرضها عليهم البابا.

2) و عضده الفلاحون لانهم توقعوا ان هذه الحرية المسيحية التي نادى بها لوثر قد تكون وسيلة لإعتاقهم من اغلال العبودية.

3) و الفريق الثالث كان متحمسا لهدم كل الاشياء في النظم القديمة و خلق عالم جديد يتمشى مععصر النهضة الحديثة و نتيجة هذا تأزمت الاحوال و قامت ثورة داخلية في المانيا اضطر مارتن إلى التدخل لتهدئة الامور و عندما فشل حرض الامراء على قتل الثوار في غير هوادة و لا رحمة.

و نتيجة لروح الانشقاق هذه التي سادت الكنائس ان تفشت الفوضى و اصبح كل فرد لا يعجبه نظام الكنيسة التابع لها ينشق مكونا كنيسة جديدة باسمه[1].

[1]- زكريا بطرس، المرجع السابق، ص39.

المبحث الثالث: عناصر أهل الذمة و علاقتهم بشرائح المجتمع الأندلسي:

أ- العناصر المكونة للمجتمع الأندلسي:

يتكون المجتمع الأندلسي من عناصر مختلفة تنوعت أصولها البشرية و عقائدها و ثقافتها، فقد كان فيه أهل البلاد الأصليين وفيه الوافدون الجدد من عرب وبربر و موالي و صقالبة. أما أهل البلاد فهم الذين أطلق عليهم(عجم الأندلس)[1]،و كانوا في كثرتهم من الإسبان الذين دخلوا في الإسلام فسموا بالاسالمة او المسالمة، ومن الذين بقوا على ديانتهم من الإسبان و الرومان و القوط و اليهود وأصبحوا أهل ذمة.

1- العرب:

ضم المجتمع الإسلامي الجديد في الأندلس بعد الفتح عدة فئات يأتي في مقدمتها العنصر العربي، الذي تدفقت جموعه في صفوف طالعة موسى بن نصير، و التي دخلت البلاد في رجب سنة 93هـ/712م، المتكونة من ثمانية عشر ألف من الجند، أغلبهم من وجوه قريش و سادة العرب.[2]

والحق أن العرب في الأندلس كانوا بمثابة أسياد البلاد وملوكها، لذا فقد نزلوا معظم البلاد الأندلسية، وسكنوا الأراضي الخصبة السهلة[3].

التي تتوفر على مياه متدفقة ومواطن الثراء والتجارة بغض النظر عن مواقعها الاستراتيجية[4]. والظاهر أن هذه القبائل العربية يعود أصلها إلى فرعين رئيسين هما: العرب البلديون و الشاميون،حيث كانت الأندلس مصرعا للصراع القديم بينهما، حسدته عدة اضطراباتوحروب عاشتها البلاد ما بين

---

[1]- مؤنس حسين، فجر الاندلس(دراسة في تاريخ الاندلس من الفتح الاسلامي الى قيام الدولة الاموية 711-756م، الدار السعودية للنشر و التوزيع، جدة، ط2، 1995م، ص425.

[2]-ابن عبد الحكم عبد الرحمان بن عبد الله، فتوح إفريقية ومصر، تح: عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1964م، ص 76.

[3]- عن أهم المناطق التي نزلت بها القبائل البربرية انظر، ابن حزم ابو محمد بن علي بن احمدبن سعيد الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تح: عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1962م، ص419-421.

[4]- محمدابراهيم الفيومي، تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب و الأندلس، دار الجيل، ط2،ج1، 1997م، ص 36.

سنتي (127-138هـ/744-755م)،حتى قيل انه لم يشهد لا بالمشرق والمغرب حرب أعنف منها[1].

إن هذا الصراع القبلي قد أفضى إلى عدة تسربات أخرى أثرت على الوضع العام بالأندلس،وربما هذا ماجعل المنصور بن أبي عامر يعمد على إذابة هذه الفتن والعصبيات ويقطع دابر التحامهم وتعصبهم[2].

2- البربر:

احتل البربر دورا هاما في عمليات الفتح الإسلامي للأندلس،ومن ذلك أن جيش طارق بن زياد قدضم العديد من البربر كأول موجة من المهاجرين والتي سهرت على فتح البلاد والاستقرار بها[3]. وتؤكد المصادر التاريخية على نحو ماذهب إليه ابن عذارى، وأكده ابن خلدون،أن جموع البربر قدفاقت بكثير أو بقليل أعداد العرب في هذه الحملة[4].

---

[1]- المقري شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تح: احسان عباس، دار صادر بيروت، 1968م، ج3، ص 24.

[2]- المقري، المصدر السابق، ج1،ص293. علي احمدعبد الله القحطان، الدولة العامرية في الاندلس،دراسة سياسية وحضارية(368-399هـ/978-1009م)، رسالة ماجيستير في التاريخ الاسلامي، كلية الشريعة و الدراسات الاسلامية جامعة ام القرى، المملكة العربية السعودية، 1981، الباب الاول، ص ص42-108.

[3]- محمد حقي، البربر في الأندلس (دراسة لتاريخ مجموعة اثنية من الفتح إلى سقوط الخلافة الأموية)، 92 -711هـ/422-1031م، شركة النشر و التوزيع المدارس الدار البيضاء،ط1،2001م، ص33.

[4]- ابن عذاري احمد بن محمد المراكشي، البيان المغرب في اختصار اخبار ملوك الاندلس و المغرب،ط1، ج2 ، ص6، ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان العبر و المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر، ضبطه ووضع حواشيه خليل شحادة ، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة و النشر، بيروت، لبنان،ج4،2000م، ص150.

وبعد هذه الموجة توالت الدفعات البربرية، بغية التماس الغنائم والاستقرار بالأندلس[1]، خاصة ما شاع من أخبار حول الغنائم وخيرات البلاد، لذا سارعوا إلى الجواز أفرادا وجماعات، رغبة في الجهاد ونشر الإسلام و رغبة في رفع المستوى المعيشي لأغلبهم[2].

والظاهر أن الهجرة البربرية قد عرفت نوعا من الفتور،نتيجة الصراع القبلي بين العرب والبربر، والذي زكته السياسة الشرعية لبني أمية، والتي بالغت في رفع الجزية وعدم المساواة مع العناصر الأخرى، ثم استأنفت الهجرة بعد ثورة ميسرة المطغري سنة (122هـ/740م), والتي بلغأوجها في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي, خاصة على عهد الحكم المستنصر(350-366هـ/961-976م)[3].

وتشير بعض الدراسات أن البربر قد توزعوا بشكل غير متكافئ عبر جهات الأندلس[4]، تركزا واستقرارا كبيرا بالثغر الأوسط، وجنوب الأندلس ،ويقل تركزهم بالثغر الأعلى نظرا لعدم تكافئ الإمكانات الاقتصادية وملائمة الأوضاع الطبيعية المشجعة على الاستقرار.[5]

كما أن الفتنة القرطبية قد أحدثت تشوها في خارطة التوزيع الجغرافي لجموع البربر ،ومن ذلك ماقام به المستعين الذي قسم البلاد الأندلسية على رؤساء البربر[6].

3- الصقالبة:

ينحدر أصل الصقالبة من ولد صقلب بن لنطي المشهورة بهذه النسبة وهم من يافث بن نوح وإليه ترجع جميع اجناس الصقالبة[1]، حيث يرجعون إلى إحدى القبائل التي سكنت المناطق الشرقية

---

[1]- المقري، المصدر السابق،ج1، ص 159.

[2]- محمد حقي، المرجع السابق، ص36.

[3]- حمدي عبد المنعم محمد حسين، دراسات في التاريخ الاندلسي دولة بني برزال في قرمونة، (404-459هـ/1013-1067م)، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية،1990م،ص19-20.

[4]- عن تفاصيل اماكن استقرار البربر انظر:مجهول، مفاخر البربر، دراسة و تحقيق عبد القادر بوباية، دار ابي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط 2005م، ص 188-189.

[5]- محمد حقي، المرجع السابق،ص88.

[6]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص113.

من أوربا،والتي تعرضت إلى عدة غزوات، سبي فيها أبنائهم، وسمي الأسرى منهم الصقالبة[2]، أما اسمهم بالأعجمية فهو (slave) سلاف[3].

يضيف أحد الباحثين أن كلمة الصقالبة أطلقت على الخصيان والأسرى[4]، وهم فريقان: فحول وخصيان، حيث كانت عملية الخصي يقومبها التجار اليهود على حد ما ذهب إليه ابن حوقل قوله:"... زمن مشهور جهازهم الرقيق من الجواري والغلمان الروقة من سبي إفرنجة وجليقية، والخدم الصقالبة وجميع من على وجه الأرض من الصقالبة الخصيان فمن جلبت الأندلس لانهم عند قربهم منها يخصون ويفعل ذلك بهم تجار اليهود..."[5] ونفس الحديث ذهب إليه آدم ميتز قوله :"...وقد احتال المسلمون للإفلات من حرمة الخصي بأن كانوا يشترون الخصيان تاركين لليهود والنصارى إثم هذا العمل الشنيع "[6].

وقد اشتهرت مدينة بجانة بعمليات الخصي[7]، لذا فقد وجد من المسلمين من عمل بها, ومن ذلك ماذكره المقري قوله: "وقد تعلم الخصي قوم من المسلمين هناك ، فصاروا يخصون ويستحلون المثلة"[8].

---

[1]- ابن الاثير عز الدين ابي الحسن علي الجزري ، اللباب في تهذيب الانساب،دارصادر، بيروت، 1980،ج2، ص244. ابن حوقل ابو القاسم محمد بن علي الموصلي، صورة الارض،ط2، مطبعة ليدن، القسم الاول، 1938، ص110.

[2]- خلفات مفتاح،صقالبة الاندلس بين القرنين(3-5هـ/9-11م) دراسة سياسية اجتماعية ثقافية، اطروحة ماجيستير، معهد التاريخ، جامعة قسنطينة،2000م، ص02.

[3]- بطرس البستاني، دار المعارف الاسلامية، دار المعرفة، بيروت، باب الصاد، ج10، ص742.

[4]- محمد عبد الله عنان،تراجم اسلامية شرقية و اندلسية،مكتبةالخانجي، القاهرة،ط2، 1970م، ص192.

[5]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص110.

[6]- ادم ميتز، المرجع السابق، ج2، ص152.

[7]- المرجع نفسه، ص153.

[8]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص145.

ومن صفات الخصيان ما ذكره الجاحظ عنهم قوله: " وأما خصالهم القبيحة فمنها خبث العرق وضانة ونتن الرائحة، وإذا قطعت خصيته قويت شهوته وسخنت معدته ولانت جلدته وانجردت شعرته واتسعت فتحته"[1].

لذا فقد امتاز خصيان الصقالبة بالغلاء عن الاحباش، لكون الصقالبة اكثر خفة و نشاطا[2].

وعليه فقد استعمل الصقالبة في الحرس والجيش،وارتقى العديد منهم إلى مصاف القادة العسكريين أيام الخليفة عبد الرحمان الناصر (300-350هـ/912-961م)،وعملوا بالحجابة ،ونافسوا العرب، حتى عرفوابالخلفاء والأكابر[3]،وعرفوا بالدائرة[4].

وبذلك فقد بلغ الصقالبة مركزا اجتماعيا رفيعا،نظرا للأعمال الجليلة المقدار داخل القصور،خاصةالنساءمنهم ومنها راضية مولاة عبد الرحمان بن محمد الناصر الدين، التي وصفها ابن بشكوال بنجم[5].

وبذلك نخلص للقول أن الصقالبة كان لهم دور فعال ومهم في المجتمع الأندلسي،بكل مجالات الحياة المختلفة، ولعل ما قام به مجاهد العامري وزهير العامري، اللذان اتخذا شرق الأندلس ملكا لدولتهم[6].

---

[1]- الجاحظ ابي عثمان عمرو بن بحر ، كتاب الحيوان، تح: فوزي عطوي،دار صعب،ط1،ج1، 1968م، ص67.

[2]- المصدر نفسه، ص74.

[3]- المقري،المصدر السابق،ج1، ص324-327. ابن حيان ابي مروان القرطبي،المقتبس في اخبار بلد الاندلس، تح:عبد الرحمان علي حجي، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1965م، ص103-127.

[4]- خزعل ياسين مصطفي، بنو امية في الاندلس و دورهم في الحياة العامة،(138-422هـ/755-1030م)،اطروحة دكتوراه دولة في فلسفة التاريخ الاسلامي،جامعة الموصل،2004م، ص45.

[5]- ابن شكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك، الصلة في تاريخ ائمة الاندلس، تح. ابو العلا العدوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، مج2، ص325.

[6]- محمد عبد الله عنان، دولة الاسلام في الاندلس، العصر الثاني ملوك الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط4، 1997م، ص158-159، فوضيلبوالصوف، العلاقات السياسية بين الاندلس الاسلامية و اسبانيا النصرانية في عصر ملوك الطوائف، القرن(5هـ/ 11م)، رسالة ماجيستير، قسم التاريخ و علم الاثار، جامعة منتوري، قسنطينة،2010-2011م، ص100-101.

4- المولدون:

هم جيل من الأبناء، كانوا نتاج تزاوج العرب المسلمين من الفتيات الإسبانيات و المسيحيات[1]، و هم مختلفون عن المسالمة أو الاسالمة الذين اعتنقوا الإسلام من الإسبان، نظرا لسياسة التسامح الديني[2].

والجدير بالذكر أن الإسلام لم يفرض على سكان الأندلس الإسلام فرض بالقوة و القهر نزولا عند قوله تعإلى: " لَإِكْراهَ فِي الدِّينِ"[3]، وهذا ما أكده المؤرخون المستشرقون منهم[4].

لذا فمن الصعب التمييز بن المسالمة و المولدون، و ترجع المصادر أن أول من تزوج بإسبانية هم الأمير عبد العزيز بن موسى بن نصير(94هـ/713م)، و الذي تزوج أرملة لذريق المسماة إنجلونا (Egilona)[5]، والتي تسميها المصادر أم عاصم[6]، و كذلك ممن تزوج إسبانية زياد بن النابغة التميمية[7] و كذلك تزوج عيسى بن مزاحم من سارة القوطية ابنة ألمند بن غيشطة ومن نسلها المؤرخ المشهور أبو بكر محمد المعروف بابن القوطية[8].

---

[1]- ابراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص43، عبد المطلب مصطفى رجب،اهل الذمة في الاندلس خلال الحكم الاموي(عصر الامارة والخلافة))138-421هـ/756-1030م) رسالة ماجيستير، جامعة الاردن،1999، ص25.

[2]- سحر السيد عبد العزيز سالم، الجوانب الايجابية و السلبية في الزواج المختلط في الاندلس،دراسة سياسية ادبية اجتماعية، الغرب الاسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، منشورات كلية الآداب و العلوم الانسانية، الرباط، ط1، 1995م، ص 48.

[3]- سورة البقرة، الآية 256.

[4] -Levi ;provençal ; histoire de l'Espagne musulmane ;paris ;1951 ; tome01 ;p 73.

[5]- ابن ثغري يوسف بن عبد الله بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة،ط1، ج1، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة،1929م، ص232.

[6]- ابن القوطيةأبو بكر محمد بن عمر الإشبيلي، تاريخ افتتاح الاندلس، تح: اسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1989م، ص25.

[7]- عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب،شرحه و اعتنى به صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية بيروت،ط1، 2006، ص25.

[8]- عبد المطلب مصطفى رجب، المرجع السابق، ص25.

والواضح أن هذا الاندماج البشري، نتج عنه احتفاظ بعض السكان المولودين بأسمائهم الأصلية، و منهم من أحتفظ به مثل بني بشكوال pascual، بني مرتين (Martin)[1].

و قد كان لظهور هذه الفئة أثر إيجابي واسع النطاق في سرعة انتشار الإسلام عن طريق الزواج المختلط، خاصة بالعديد من المدن الأندلسية كقرطبة، و غرناطة، و اشبيلية، و التي تعد أهم مراكزهم، كما كان لهم دور فعال ف الحياة السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و حتى الثقافية[2].

5- النصارى :

هم طائفة من سكان الأندلس الأصليين ظلت محافظة على دينها المسيحي, على الرغم من اندماجها في الحياة الإسلامية الجديدة, و قد أطلق عليها عدة تسميات لكن هذا الاسم ظل الأكثر استخداما و مفرده (نصراني), حيث ورد في القرآن الكريم: "مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ "[3].

عاش النصارى إلى جوار المسلمين حيث تمتعوا بحقوقهم كاملة، مما كان له الاثر الكبير في انفتاحهم على الثقافة و التقاليد العربية، حيث تعربت اعداد كبيرة منهم، و بسبب ذلك اطلق مصطلح (مستعربين)[4] على النصارى الذين عاشوا في كنف الدولة الإسلامية، و احتفظوا بديانتهم واستعربوا ثقافيا، و ذلك ابتداء من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، حيث بدأت تظهر تسمية (مستعربين) في النصوص و الكتابات الرسمية من خلال وثائق العقود الجارية بين الناس،

---

[1] -Levi ; provençal ;op-cit ; tome02 ;p 76.

[2]- سحر عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص49-50.

[3]- سورة أل عمران، الآية 67.

[4]- مستعربون: مصطلح كان يطلق على اولئك الذين احتفظوا بديانتهم النصرانية و ان ظلوا رعايا للدولة الاسلامية بحكم كونهم اهل ذمة. وقد تاثر هؤلاء النصارى بأوضاع من عايشوا من المسلمين فاصطنعوا اللغة العربية و اصبحوا ينتمون الى عالم الحضارة العربية الاسلامية التي رأوها أسمى بكثير مما كان عليه التراث الحضاري الروماني. و هذا ما يفسر تسمية هذه الطائفة باسم مستعربين، ابن سهل أبي الأصبغ، وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس ، مستخرجة من مخطوطة الأحكام الكبرى للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل، دراسة و تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف، مراجعة و تقديم محمود علي مكي ومصطفى كامل إسماعيل، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، 1980، ص4.

ثم في كتابات نصارى الأندلس سواء باللاتينية او الإسبانية القديمة (عجمية الأندلس)[1]، وبالنسبة لمصطلح مستعربين (Mozarabes) فقد أطلق على الإسبان النصارى الذين عاشوا في كنف الدولة الإسلامية، و احتفظوا بديانتهم و لكنهم استعربوا ثقافيا[2]، ذلك ان اطلاق هذا المصطلح جاء بعد شيوع استعمال هذه الفئة للغة العربية و تجذر الثقافة و التقاليد العربية بين أبناء المجموعة النصرانية، بدليل أن إطلاق هذه التسمية كان في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ولم يكن في القرون السابقة عليه.

و يرجع بعض الباحثين أن تسمية النصارى بالمستعربين ظهرت بعد افتكاك ألفونسو السادس لطليطلة سنة (478هـ/1085م) من أيدي المسلمين، حيث تم العثورفيها على عدد كبير من النصارى الذين كانوا يعيشون في ظل السلطة الإسلامية ، و يتكلمون اللغة العربية، و يؤدون طقوسهم الدينية بها و لهم عاداتهم الاجتماعية الخاصة بهم و التي تميزهم عن بقية النصارى[3]،لذلك كان لزاما إيجاد صفة تميز هذه المجموعة عن غيرها من المجموعات الأخرى، وبما ان الميزة الاساسية لهم هي الاستعراب أو التعرب غدا من الممكن تسميتهم بالمستعربين.

و في هذا السياق أورد دوفورك بان من أهم مميزات العقيدة الإسلامية احترام الديانات السماوية، حيث ذكر في هذا المنحى ان المسلمين عندما كانوا يقومون بفتح منطقة جديدة يبقون فيها على الكنيسة و ما ارتبط بها من املاك و طقوس[4]، و في ذلك إشارة واضحة على مدى الحرية الدينية التي منحها المسلمون في الأندلس لمخالفيهم من أتباع الديانات الاخرى .

---

[1]- مؤنس حسين، المرجع السابق،ص 428.

[2]- عبد القادر عثمان محمد جاد الرب، المستعربون في عصر ملوك الطوائف، مجلة التاريخ العربي ، الرباط، المغرب، ع25، 2003م، ص250.

[3]- محي الدين صفي الدين، المستعربون و دورهم في تاريخ الأندلس، مذكرة ماجيستير، إشراف عبد القادر بوباية، قسم التاريخ، جامعة وهران، السنة الجامعية: 2007-2008، ص 24-25.

[4] -Dufourqc.e ; la vie quotidienne dans l europe médiévale sous domination arabe ; imprimerie Cinodel Duca ; Biarritz ;1981 ;p71.

و يضيف دوفورك بان المسلمين (الأسياد الجدد) يمتنعون عن التدخل في الحياة الداخلية للكنيسة، و بأنهم حفظوا للرعايا المسيحيين كامل الحرية في التنقل في الدولة الإسلامية و خارجها .و يذكر بان الأعياد المسيحية لاقت الاحترام حتى ان احد قواد الجيش و هو المنصور بن ابي عامر، كان يفرض على المسلمين المنضوين تحت لوائه احترام عطلة الاحد لان من بين جنده نصارى، و تشير تلك الصورة إلى مستوى عال من التسامح و تقبل الاخر المخالف بما في ذلك أعياده و مواسمه الدينية بل و مشاركته البهجة كما سنرى لاحقا[1] .

6- اليهود:

لقد عرف اليهود عبر العصور بأكثر من تسمية، وبسبب هذا التعدد اصبح من الخطأ الشائع عدم التفرقة بينهما، فتسمية يهودي هي التسمية الثالثة في الترتيب بعد تسميتي (عبري) و (إسرائيلي) من ناحية الظهور التاريخي[2]

ويعتقد الباحث جمال حمدان بان كل هذه التسميات التي اطلقت على اليهود معنى مرتبط بفترة من تاريخهم، وان ثمة تسميات ثلاث مترادفات هي: إسرائيل و العبريون و اليهود، فالأولى نسبة مباشرة إلى إسرائيل الاسم البديل ليعقوب،اما العبريون فسموا بها عندما هاجروا من كلدان إلى كنعان حيث عبروا النهر فسموا بالعبرانيين، اما التسمية باليهودية فتدل اصلا على ابناء يهودا احد ابناء يعقوب الذين اصبحوا يمثلون البقية المهمة من بني إسرائيل بعد الاسر البابلي، فصارت فيما بعد تطلق على الإسرائيليين جميعا، و اسم يهودا نفسه قريب من اسم إله الشعب ياهو التي قد تكون تحريفا للنداء العربي ياهو[3].

[1] - Dufourq ;op-cit ; p75

[2] - محمد خليفة حسن احمد، تاريخ الديانة اليهودية، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة،ط1، 1998،ص29.

[3] -جمال حمدان، اليهود انتربولوجيا،دار الهلال،القاهرة،1996، ص54-55

ان تسمية (يهود) من الهوادة وهي المودة او التهود، وهي التوبة كقول موسى عليه السلام:"إِنَّا هُدْنَا إِلَيكَ"[1]، أي تبنا، فكأنهم سموا بذلك في الاصل لتوبتهم و مودتهم لبعضهم البعض، وقيل لنسبتهم إلى (يهود) أكبر أولاد يعقوب عليه السلام[2].

وقد وردت في القرآن الكريم بعض الآيات التي توضح اشتقاق كلمة يهود من الفعل "هاد" مثل قوله تعالى:" مَنْ آمَنَ بالله واليومالآخر وَعَمِلَ صَالِحاً فَلُهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَرَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ"[3].

ولتسمية (يهود) دلالة دينية، اذ تطلق على كل من يعتنق الديانة اليهودية، ويؤمن بها ويمارس طقوسها وشعائرها، ولذلك تنسب كلمة يهودي إلى اليهودية، كما ان كلمة مسيحي تنسب إلى المسيحية، ومسلم تنسب إلى الإسلام، وهي بهذا ذات دلالة دينية خالصة[4].

تفتقر المصادر الإسلامية إلى المعلومات الدقيقة عن استقرار اليهود في اسبانيا قبل الفتح الإسلامي لها فقد اهملتهم معظم كتب التاريخ، وليس من المعروف متى وصل اليهود إلى ارض اسبانيا، فقد عرف عنهم بانهم كانوا متجولين فيعصر الاباء عند اليهود (اي منذ عام 2000ق.م)، حيث اتسمت حياتهم بالتنقل البدوي من بلد إلى أخر وبالبقاء على حواف المدن او على طرق التجارة ومما لا شك فيه انه قد حصل تشتت لليهود حيث هاجروا إلى بقاع الأرض المختلفة ومن بينها اسبانيا التي وصلوها في موجات بشرية متتالية.

وبعد الاضطهاد الذي عاشوه من قبل القوط وايدوهم رجال الكنيسة واتهموهم بتآمرهم على سلامة الدولة واستغلوا ذلك في سن قوانين قاسية ضدهم مما دعا هؤلاء إلى التفكير في التخلص من نير القوط[5].

---

[1]-سورة الأعراف، الاية156.

[2]-محمد خليفة حسن احمد،المرجع السابق، ص49.

[3]-سورة البقرة، الآية62.

[4]- محمد خليفة حسن احمد، المرجع نفسه، ص29.

[5]- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين و اثارهم في الاندلس،دار النهضة العربية،بيروت،1988م ، ص65.

شعر اليهود بالظلم المسلط عليهم وكانوا ينتظرون الفرصة للانتقام من القوط، فعندما سمعوا بعبور المسلمين مضيق جبل طارق وانتصارهم في اول معركة على ارض الأندلس سنة 92هـ/711م، تنفسوا الصعداء، واحذوا يترقبون تقدم الجيش الإسلامي في شبه الجزيرة بكثير من الأمل[1] وذلك بعد ما تردت احوالهم بسبب المضايقات المسلطة عليهم خلال الحكم القوطي،مما جعل اغلبهم يلجؤون إلى التخفي[2]، والحرص على تلافي بطش السلطات القوطية .

توجد بعض الإشارات في المصادر تتحدث عن دور قام به اليهود دعما للمسلمين، وتعاونوا معهم في حفظ وحراسة المدن المفتوحة[3].

يمكن تعليل دعم اليهود للفاتحين بمصلحة الطرفين و حاجة كل منهما للأخر في هذا الوقت بالذات، اذ لا يمكن للمسلمين ترك اليهود يحرسون المدن المفتوحة لو لم تكن مصلحة قوية بين الطرفين، وأهمها اشتراكهم في عداوة النصارى.

ب- النصرانية في الأندلس:

بقي قسم كبير من أهالي الأندلس القوط على المسيحية فكفلت لهم الدولة الحرية الدينية لقاء الجزية السنوية، وقد تمتع نصارى الأندلس زمن الإمارة الأموية بحقوق وامتيازات لم يحصلوا عليها خلال العهد القوطي، من ذلك أن المسلمين سمحوا لهم بالحفاظ على ممتلكاتهم الدينية كالكنائس وممتلكاتها، والأديرة وغيرها وعلى ممتلكاتهم الخاصة مثل الأموال والعقارات المختلفة كالمساكن والمحلات التجارية والأراضي الزراعية، أضف إلى ذلك منحت السلطة الإسلامية في الأندلس للمسيحيين امتيازات منها قرع النواقيس، ومرور المواكب في شوارع المدن أثناء الاحتفالات الدينية حاملين الصليب، وبناء كنائس جديدة إضافة إلى السماح لهم باستعمال اللغة العربية في ترانيم الكنيسة، وعدم تدخلها في الأمور التنظيمية الداخلية للكنيسة ومن الناحية الثقافية، ساهم الوجود

[1]- عبد المجيد محمد بحر، اليهود في الاندلس، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر، القاهرة،1970، ص20.

[2]- المسيري عبد الوهاب،موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية، دار الشروق، القاهرة،ط1، 1999، ج2،ص249.

[3]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص19.

الإسلامي في الأندلس في تحرير الكنيسة الأندلسية من تبعيتها لكنيسة روما، كما تحرر المسيحيون من ضغط رجال الدين عليهم، بفضل الحماية التي ضمنتها لهم السلطة الإسلامية، فاصبح بإمكان المسيحي ان ينتقد الكنيسة و تصرفات رجال الدين، ونتج عن ذلك ظهور مجموعة من المذاهب الدينية المسيحية في الأندلس[1].

وعلى الرغم من التمازج و العيش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في الأندلس فان بعض الثورات الطائفية او المصبوغة بصبغة طائفية قد وقعت بين الحين والأخر لأسباب مختلفة، منها ثورة عمر بن حفصون المعارض لسلطة الدولة الاموية، وقد استمرت 49 سنة(267هـ-316هـ) وقضية شهداء قرطبة المثيرة للجدل .

ت- أوضاع النصارى في الأندلس:

كان من أبرز المجتمعات المسيحية في الأندلس المستعربون او النصارى المعاهدون او الاعاجم وهم النصارى الذين ظلوا في الأندلس في المدن والبقاع المفتوحة بعد الفتح الإسلامي، وتركزت قواعدهم الاساسية في كل من قرطبة واشبيلية وطليطلة[2] وقد شكلوا الطبقة الأكثر عددا وانقسموا إلى طبقتين داخل المجتمع الأندلسي، اولهما عليا وكانت تتكون من كبار النصارى ووجوههم، وثانيهما العامة إلا أن الطبقة الثانية حظيت بحقوق أخرى إبان الفتح حيث مكنهم الفاتحون من خدمة الارض مقابل جزء يسير من منتوجها يؤدونه للدولة ويحتفظون هم بجله، وكانوا قبلا اقنانا مملوكين، وتبنى المستعربون تقاليد العرب ولغتهم واهتموا بالحرف العربي، وكانوا يجيدون الشعر والنثر العربي وينظمون القصائد ويتفاخرون بإتقانهم للغة العربية. وخلال الحكم الاموي كله اعتمد عليهم الامويون في ادارة شؤون

[1]- محي الدين صفي الدين، الوضع الديني لنصارى الاندلس على عهد الدولة الاموية (138-422هـ/756-1031م)، دورية كان التاريخية، العدد الثامن عشر،ديسمبر، 2012، ص ص43-46.

[2]- لسان الدين بن الخطيب محمد ابن عبد الله، الاحاطة في اخبار غرناطة،تح: محمد عبد الله عنان،مكتبةالخانجي، القاهرة، ج1، ص106-109.

البلاد الاقتصادية وتنظيم الدولة والعلوم. وبرز المسيحيون في العلوم والطب والفلك، فيما امتهن عوامهم الزراعة وتربية الماشية والصيد [1].

1- في العصر الأموي :

حظي المسيحيين و اليهود، بمعاملة خاصة مكنتهم من حرية الدين والمعتقد، حتى ان قضاياهم كان لهم حق الفصل بها بموافقة من السلطة الإسلامية العليا. فكان يسمح بتطبيق شرائعهم على يد قضاتهم الذين كانوا يعرفون بقضاة النصارى او قضاة العجم، وتحت مسؤولية رئيس طائفتهم الذي كان يحمل لقب"القومس"[2]، أما الخلافات التي كانت تقع بينهم وبين المسلمين، فكانت تعرض على القضاء الإسلامي، فكثرت كنائسهم في كل الأندلس ما بين القرن الثامن والثاني عشر، سواء في المدن الكبرى او الصغرى.

ومن أشهر كنائسهم ايام الخلافة ، الكنيسة العظمى بقرطبة، ومن أشهرالأديرة الواقعة في أطراف المدينة دير ارملاط[3]، ولم تهدم الكنائس في الأندلس، الا في حالات خاصة كأن تكون الكنيسة معقلا للثورة على السلطة، كهدم بعض الكنائس خلال ثورة بن حفصون. كما كانت الأناجيل أيضا شائعة يطالعها المسيحي وغير المسيحي، وقد أفاد منها ابن حزم في كتابه" الفصل في الملل والأهواء والنحل"، حيث ذكر انه كان يصاحب رجال الكنيسة ويجادلهم.

وأتاحت تلك الحرية الفكرية لأبناء الأندلس من غير المسلمين الفرصة في التعمق في دراساتهم الدينية. وكان قد مارس المسيحيون دينهم بحرية نسبية في خلافة قرطبة[4].

---

[1]- شحلان أحمد، مكونات المجتمع الاندلسي و مكانة اهل الذمة فيه، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، المغرب،1997، ص235

[2]- دويدار حسن يوسف، المجتمع الاندلسي في العصر الاموي، مطبعة الحسين الاسلامية، القاهرة،1994م، ص126-134.

[3]-Levi ; provençal ; p72-74

[4]- بالينثيا انخل جونثالث، تر: حسين مؤنس، تاريخ الفكر الاندلسي، مكتبة الثقافة الدينية،1955م، ص488-489.

2- العصر المرابطي:

كانت مواقع انتشار و استقرار النصارى في الأندلس في العصر المرابطي، معظمها في غرناطة وإشبيلية وبلنسية والبيرة وبطليوس وطركونة ومالقة[1] فضلا عن استقرار بعضهم بالبوادي. والراجح أن عددهم كان كثيرا. وكان المولدين، وهم السكان الأصليين المنحدرين من أصل إسباني ممن اعتنقوا الإسلام أو ولدوا من أب مسلم فنشأوا على الديانة الإسلامية أوفر العناصر حركة وأكثرها أهمية في الحياة العامة وفي الفعالية الاقتصادية للأندلس حيث اشتهر الكثير من المولدين بالقوة و النفوذ و الثراء خصوصا في اشبيلية، و امتهنوا مهن متنوعة كتربية الماشية و الزراعة في الأرياف، و صيد السمك، أما في المدن فقد زاولوا حرفا مختلفة، و اشتغلوا بالتجارة، فكانوا بذلك أكثر العناصر نشاط و أكثرهم تلاؤما مع ظروف الحياة في البلاد الأندلسية[2].

وصل عدد كبير من النصارى إلى مكانة اجتماعية مرموقة[3]، وأصحاب نفوذ وجاه[4]، وحظوا برعاية الدولة خاصة في عهد علي بن يوسف، حتى إن إحدى الوثائق المسيحية أكدت أن تعلقه بالنصارى فاق تعلقه برعيته، وأنه أنعم عليهم بالذهب والفضة وأسكنهم القصور[5]. وشارك النصارى المسلمين في استغلال المرافق الاجتماعية حيث سمح لهم باستقاء المياه مع المسلمين من بئر واحدة، ونظرا للتسامح الديني معهم سمح للنصارى بالخرج مع المسلمين في صلاة الاستسقاء[6]. وحرص الأمراء المرابطين على حفظ الحقوق الاجتماعية للنصارى والضرب على أيدي كل من حاول المس بهم[7]. وخصصت لهم الدولة المرابطية مقابر خاصة تماشيا مع عاداتهم وتقاليدهم في دفن موتاهم ونعرف

---

[1]- بيير غيشار، التاريخ الاجتماعي لإسبانيا المسلمة، ص97.

[2]- حسن احمد النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الشعر الاندلسي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992، ص33.

[3]- نوازل ابن الحاج، ص119.

[4]- مجلة البيان، كتب النوازل، انور محمود الزناتي، تاريخ الولوج 20 اكتوبر2013، نسخة محفوظة 2017 على موقع واي باك مشين.

[5]- ابراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص74.

[6]- ابن المؤقتعبد الله بن مبارك المسفيوي المراكشي، تعطير الانفاس في التعريف بالشيخ ابن العباس،د.ت، ص40.

[7]- محمد الامين بلغيث، دراسات في تاريخ الغرب الاسلامي، دار التنوير للنشر و التوزيع، 1426هـ/2006م، ص14-15.

هذه المقابر باسم "مقابر الذميين"[1]. وفي المقابل تثبت بعض النصوص ما تعرضوا له من تشدد من طرف بعض الفقهاء كالمطالبة بمنع المسيحيات من الدخول إلى الكنائس إلا في أيام الاحتفالات والأعياد[2]. ورغم أن النصارى كانوا يرتدون لباسا خاصا بهم، إلا أنهم كانوا يلبسون أزياء المسلمين، ورغم مطالبة بعض الفقهاء لهم بالكف عن ذلك، إلا أنهم استمروا في ارتدائها[3].

3- عصر الموحدين:

سيطر الموحدون على أراضي المرابطين المغاربية و الأندلسية بحلول عام 1147. رفض الموحدون العقيدة الإسلامية السائدة التي تثبت مكانة " أهل الذمة"، وهو وضع غير مسلم في بلد مسلم والذي يسمح له بممارسة دينه بشرط الخضوع للحكم الإسلامي ودفع ضريبة الجزية.

أول زعيم للموحدين، عبد المؤمن، سمح بفترة سماح أولية مدتها 7 أشهر. ثم أجبر معظم السكان الذميين الحضريين في المغرب، من اليهود و المسيحيين، على اعتناق الإسلام. وكان على أولئك الذين اعتنقوا الإسلام حديثا ارتداء ملابس معرفة، لأنهم لم يعتبروا مسلمين مخلصين. وتسارعت التحويلات القسرية تحت تهديد العنف القرن الثاني عشر في شمال إفريقيا و الأندلس، وتم قمع اليهود والمسيحيين وأجبروا على الاختيار بين التحول إلى الإسلام، أو النفي، أو القتل. اختار المسيحيون تحت حكمهم عموما بانتقال إلى إمارات مسيحية في شمال شبه الجزيرة الإيبيرية، بينما قرر اليهود البقاء للحفاظ على ممتلكاتهم، وكثير منهم تظاهروا بالتحول إلى الإسلام، مع الاستمرار في ممارساتهم الدينية بالسرية.

طرأ على معاملة المسيحيين تحت حكم الموحد تغييرا جذريا. قتل الكثير من المسيحيين، أو أجبروا على التحول إلى الإسلام أو أرغموا على الفرار. هرب بعض المسيحيين، إلى الممالك المسيحية في الشمال والغرب. وساعدوا في تأجيج الاسترداد. لقد تخلى إدريس المأمون، وهو خليفة موحدي حكم

---

[1]- ابن القيم الجوزية محمد ابن ابي بكر، احكام اهل الذمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2،2002م .

[2]- ابن عبدون محمد بن احمد، رسالة في آداب الحسبة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية بالقاهرة،1955م، ص48-49.

[3]- ابن بسام ابو الحسن علي الشنتريني، الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، تح: احسان عباس، دار الثقافة بيروت،ط1 ج2، 1978.

في الفترة ما بين 1229-1232 م وفي أجزاء من المغرب، عن الكثير من عقيدةالموحدين، بما في ذلك تعريف ابن تومرت بأنه المهدي، وحرمانه من وضع الذمي. سمح لليهود بممارسة دينهم علانية في مراكش، و سمح حتى للكنيسة المسيحية العمل هناك كجزء من تحالفه مع قشتالة.

الفصل الثاني:

التنظيمات الإدارية و الدينية للنصارى و اليهود في الأندلس.

المبحث الأول: التنظيمات الإدارية والدينية النصارى بالأندلس.

المبحث الثاني: التنظيمات الإدارية والدينية لليهود بالأندلس.

ترك المسلمون للنصارى نظامهم المدني الذي كان ساندا وفق شريعتهم، و بخاصة مجموعة القوانين التي ترجع إلى عهد القوط، وابقوا لهم المسؤولية عن كل ما يتصل بأمور رعاياهم، فقد كانوا يجمعون ضرائبهم و يؤدونها إلى بيت المال نيابة عنهم، و كانوا يعينون لهم القضاة الذين يفصلون في منازعاتهم بحسب القانون القوطي، و كانوا يشرفون على كنائسهم و يتولون أمور قساوستها[1].

المبحث الأول: التنظيمات الإدارية و الدينية للنصارى في الأندلس:

أ- التنظيمات الإدارية للنصارى:

يعد إبقاء النصارى على تنظيماتهم التقليدية مظهرا أساسيا من مظاهر التسامح الذي لم تعرفه الأندلس في زمن من الأزمان، و بذلك يكون الإسلام قد وفر لهم مجالا للاحتفاظ بخصوصياتهم التي ضمنت لهم التميز عن باقي المكونات الأخرى.

احتفظ نصارى الأندلس بنظمهم الإدارية الخاصة بهم، و كانت لهم قوانينهم و تشريعاتهم القوطية التي يحتكمون إليها في كل ما يتعلق بنزاعاتهم الداخلية[2].

كما احتفظ النصارى أيضا بنظامهم المدني الذي كان موجودا أيام القوط ، وكان عليهم أن يختاروا الشخص الذي يمثلهم أمام السلطة الاسلامية ، ويدير شؤونهم في المدن و الارياف و هو المعروف تاريخيا عندهم بالقومس (Comes)[3].

1- القومس: اطلق على رئيس الجماعة النصرانية اسم قومس، إلا انه كان يطلق عليه أيضا قومس الأندلس و زعيم عجم الذمة[4]، و هو متولي شؤون طائفته المالية و الإدارية.

ترك المسلمون للنصارى حرية اختيار القومس الذي يرأسهم و يدير شؤونهم المدنية، إذ ابقوا لهم كامل الحق في انتخابه، على خلاف ما كان عليه الحال أيام القوط، فقد كان ملك القوط يقوم

---

[1]- مؤنس حسين، المرجع السابق، ص477.

[2]- Simonet f.j ; Historia de los Mosarabes de Espana ; Madrid ; 1897 ; p106-107 .

[3]- رجب محمد عبد العليم، العلاقات بين الاندلس الاسلامية و اسبانيا النصرانية في عصر بني امية و ملوك الطوائف، دار الكتب الاسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، د.ت، ص17.

[4]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج1، ص20.

بتعيين القمامسة من بين أصحابه والمقربين إليه، بينما اكتفى المسلمون باختيار القومس الاعلى و هو الملقب بقومس الأندلس، ولم يتركوا له حق تعيين قمامسة النواحي لان ذلك يعطيه سلطانا واسعا باعتبار غالبية أهل البلاد كانوا من النصارى[1].

شكل القومس حلقة اتصال بين قومه النصارى وبين السلطة الإسلامية، وكان يتراس جهازا إداريا كاملا، حيث يعاون القمامسة موظفون آخرون اصغر منهم كانوا يعملون تحت إدارتهم خاضعين لسلطانهم في المدن، وينوبون عنهم في القرى الداخلة في زمام ناحيتهم، و كانوا يتولون الأعمال المختلفة من إدارية ومالية و قضائية[2].

أشار ابن الخطيب إلى تولي رؤساء من أهل الذمة شؤون جماعتهم بقوله: "يرأسهم أشياخ من أهل دينهم أولو حنكة ودهاء ومداراة ومعرفة بالجباية اللازمة لرؤوسهم"[3]. ومما ساعد في تنظيم وإدارة شؤون النصارى أن المسلمين عندما فتحوا الأندلس وجدوا مدنها منظمة تنظيما دقيقا، حيث شكلت كل مدينة وحدة قائمة بذاتها ولها زمام حولها يتبعها، وتم احترام هذا التنظيم على اعتبار انه جزء من احترام المسلمين لعهودهم مع أهل الذمة[4].

وتبعا للهيكل التنظيمي للمدن في الأندلس الموروث عن القوط يمكن أن نميز بين نوعين بين القمامسة :

ا- القومس الأعلى أو القومس الأندلس: و يتم تعيينه من قبل السلطة الإسلامية أو ينتخب من طرف النصارى، أنفسهم لتتم المصادقة عليه من قبل الحكام المسلمين، ويتولى مهام تمثيل قومه النصارى لدى السلطات الإسلامية، وكان مسؤولا عن كل ما يتصل بأمورهم و منها جمع الضرائب وتأديتها لبيت المال، كما كان يعين لهم القضاة و يشرف على كنائسهم[5].

[1]- مؤنس حسين، المرجع السابق، ص461.
[2]- نفسه، ص461.
[3]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج1، ص20.
[4]- مؤنس حسين، المرجع نفسه، ص459.
[5]- نفسه، ص460.

ب-قومس المدينة: كانت تنتخبه الجماعة النصرانية وتصادق عليه السلطة الإسلامية، وله من ينوب عنه في القرى الصغيرة والحصون الداخلية في زمام مدينته[1].

2-قاضي النصارى: يلي القومس في السلك الإداري للنصارى قاض كان يسمى قديما زمن القوط يودكس (Judex)،ثم حلت محلها التسمية العربية القاضي، ثم صارت هذه اللفظة تتداول على ألسنة الناس ألكالدي (Alcalde)[2]، و بهذه الصورة دخلت اللغة القشتالية وظلت مستخدمة فيها الى اليوم، وقد تطور معنى الألكالدي مع زمن فصار إلى ما يشبه العمدة في المدن الصغيرة والقرى.

وبفعل اتساع نطاق الإسلام تراجع دور القاضي لدى النصارى، وبذلك تضاءل اختصاصه بالفصل في القضايا وأصبح أشبه برئيس شرفي تنتخبه الجماعة النصرانية من غير اختصاص واضح[3].

سمح المسلمون لقضاة النصارى بالفصل في المنازعات والخصومات التي تحدث بين النصارى وفق القانون القوطي القديم[4].

3-المشرف: وهي وظيفة أقل شأنا من سابقاتها، ويوكل إلى صاحبها الإشراف على جملة من الشؤون المالية والإدارية في الناحية[5].

ب- التنظيمات الدينية للنصارى:

اتصف المسلمون بالتسامح مع النصارى،[6] حيث ضمنوا لهم التنظيم الديني المتعارف عليه بينهم منذ عصر القوط، وقد لقي رجال الدين في المجتمع الأندلسي اهتماما كبيرا من السلطة الإسلامية، وكان الدور الملقى على عاتق رجال الدين في تنظيم و إدارة شؤون أبناء طائفتهم دورا بالغ الأهمية

---

[1] -Simonet f j . op-cit ; p108

[2]- كلمة ألكادي: هي تحريف لكلمة القاضي في العربية، و يبدوا أن النصارى استخدموها في إطار المثاقفة و التأثيرالمتبادل بينهم و المسلمين، و لا يعرف بالضبط تاريخ استخدام هذا اللفظ بهذه الصيغة.

[3]- مؤنس حسين، المرجع السابق، ص462.

[4] -Simonet f j . op-cit ; p457 .

[5]-مؤنس حسين، نفسه، ص463.

[6] -Dufourcq : op-cit ; p71

حيث لعب القساوسة والرهبان أدوار هامة في مختلف مناحي الحياة الدينية و السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

احتفظ النصارى في ظل الحكم الإسلامي بكنائسهم و بحق ممارسة شعائرهم الدينية بكل حرية، ويعتقد يوسف القرضاوي بأن حرية التدين تعني حرية الاعتقاد و التعبد إذ أن لكل ذي دين دينه ومذهبه الذي لا يمكن جبره عليه، و لا يجبر على تركه إلى غيره، و لا يتم أي ضغط عليه ليتحول منه إلىالإسلام[1].

وأساس هذا الحق قوله تعالى"لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ (256)"[2]، وقوله تعالى"أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ(**99**) "[3].

كان أهم تغيير في النظام العام للنصرانية بالأندلس في هذه الفترة هو انتقال مركز الثقل الديني من طليطة إلى قرطبة، ولم ينقل المسلمين كرسي المطرانية الكبرى من طليطلة إلى قرطبة بل تركوه كما كان مراعاة لمشاعر النصارى، لكنهم –في مقابل ذلك- حرصوا على أن يكون المطران قريبا منهم في العاصمة قرطبة، حيث عقدت مجامع طليطلة[4].

لم يكن لهذا الإجراء تأثير في أحوال النصارى الدينية، فقد حرص المسلمون على أن يكون رجال الدين على مقربة من مركز السلطة في قرطبة للاطلاع عن قرب على شؤونهم و أحوالهم.

كان المسلمون يمنعون على أنفسهم حسب ما أورد دوفورك التدخل في الشأن الداخلي المسيحي خاصة فيما يتعلق بالعبادات[5]، و ذلك تماشيا مع النظر الشرعي لحقوقهم الدينية.

---

[1]- القرضاوي يوسف، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة ،ط4، 2005م، ص18.

[2]- سورة البقرة، الآية 256.

[3]- سورة يونس، الآية 99.

[4]-Simonet f j . op-cit p123- 124.

[5]-Dufourcq ; op-cit ; p71.

وفي اعتقادنا يعتبر هذا السلوك من المسلمين دليلا وبرهانا أخر على الطريقة التي تمت بها معاملة الذميين والذي كان في منتهى التسامح فيما يتعلق بالممارسات الدينية، وسيبين وضع الكنائس والأديرة في الفترة التالية ذلك المنحى و يؤكده.

1- الكنائس و الأديرة:

كان مبدأ حرية التعبد محفوظا في الأندلس، فقد كان دائما بإمكان النصارى القيام بشعائرهم الدينية حسب هواهم، و ذلك في منازلهم كما في الكنائس التي تركت لهم ، فغداة الفتح الإسلامي مر كل شيء على الوجه الصحيح ، فلم تشرد السلطة الإسلامية أي قس (Prétre)، فكل رجال الكنيسة يمكنهم العيش في دار الإسلام ، ولم يضيق عليهم احد في أداء شعائرهم الدينية[1].

ترك المسلمون للنصارى كنائسهم على عكس ما ذكر أصحاب المدونات النصرانية من أنهم خربوا أربعين من المطرانيات و الأسقفيات، وهذا القول مبالغ فيه لان المسلمين لم يخربوا في البلدان المفتوحة كنيسة واحدة، وفي ذلك يقول القاضي أبو يوسف :" و لست أرى أن يهدم شيء مما جرى عليه الصلح ولا يحول، و أن يمضي الأمر فيها على ما أمضاه أبو بكر و عمر و عثمان و علي رضي الله عنهم أجمعين ، فإنهم لم يهدموا شيئا منها، مما كان الصلح جرى عليه، و أما ما احدث من بناء بيعة أو كنيسة فان ذلك يهدم ، و قد كان نظر ذلك غير واحد من الخلفاء الماضين ،وهموا بهدم البيع والكنائس التي في المدن و الأمصار و اخرج أهل المدن الكتب التي جرى الصلح فيها بين المسلمين وبينهم، ورد عليهم الفقهاء و التابعون ذلك و عابوه عليهم فكفوا عما أرادوا من ذلك، فالصلح نافذ على ما أنفذه عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى يوم القيامة"[2].

إن ما تتداوله بعض الكتابات المؤرخين الأوروبيين عن تخريب و هدم لبعض الكنائس يتنافى مع الواقع، بدليل ان المسلمين لم يخربوا كنيسة قرطبة عند الفتح، مع انهم استولوا على البلدة عنوة بل اكتفوا بمشاركة النصارى إياها، و عندما انتشر الإسلام في البلد و ضاق نصف الكنيسة بالمصلين

[1] - Dufourcq ; op-cit ; p73.

[2] - القاضي أبو يوسف،بن ابراهيم، كتاب الخراج، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ص147.

اشترى عبد الرحمان الداخل النصف الاخر من النصارى و أذن لهم في بناء كنيسة أخرى بدل الكنيسة القديمة التي أصبحت كلها مسجد قرطبة الجامع[1].

ويعترف دوفورك بإبقاء المسلمين لكثير من الكنائس على حالها و ذلك في القرون: ما بين التاسع والحادي عشر الميلادي (الثالث و السادس الهجري)[2]، مع انه يشير الى تحويلهم لبعض الكنائس الى مساجد، و ربما يكون قصد بذلك كنيسة قرطبة التي طلب عبد الرحمان الداخل من النصارى بيع ما بقي بأيديهم منها سنة 169هـ/785م لتوسيع المسجد الجامع بقرطبة مقابل السماح لهم ببناء كنيسة خارج أسوار قرطبة[3].

لا نعلم بتعرض المسلمين للكنائس إلا ما كان من أمر كنيسة بضواحي غرناطة و هي الكنيسة التي أفتى الفقهاء بهدمها تنفيذا لأوامر يوسف بن تاشفين سنة 492هـ/1099م، و قد أشار الى ذلك ابن الخطيب في معرض كلامه عن النصارى غرناطة عند ما قال :"و كانت لهم بخارج الحضرة على غلوتين[4] تجاه باب البيرة في اعتراض الطريق الى قولجر[5]كنيسة شهيرة، اتخذها لهم احد الزعماء من أهل دينهم استركبه بعض امرائها في جيش خشن من الروم ، فأصبحت فريدة في العمارة والحيلة، أمر بهدمها الامير يوسف بن تاشفين لتأكد رغبة الفقهاء و توجه فتواهم، قال ابن الصيرفي :خرج أهل الحضرة لهدمها يوم الاثنين عقب جمادى الآخرة من عام اثنتين و تسعين و أربعمائة ، فصيرت

[1]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص516.

[2] - Dufourcq ; op-cit ; p72.

[3]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص229.

[4]-الغلوة قدر رمية بسهم، و غلا السهم نفسه ارتفع في ذهابه و جاوز المدى، و كذلك الحجر و كل مرماة من ذلك غلوة ... وكله من الارتفاع و التجاوز و الجمع غلوات و غلاء... ، ابن منظور، المصدر السابق، ج15، ص131.

[5]- قولجر: قلجار هي اليوم gojar، ذكرها عبد الله بن بلقين في معرض حديثه عن غرناطة و هي بالقرب منها حيث عرفها باسم(قرية قولجر من عمل السطح)، ابن بلقين عبد الله، كتاب التبيان، تح: أمين توفيق الطيبي ، منشورات عكاظ، الرباط، 1995، ص69.

للوقت قاعا، وذهبت كل يد بما أخذت من أنقاضها و آلاتها، قلت ومكانها اليوم مشهور، وجدارها ماثل ينبئ عن إحكام و أصالة"[1].

إن قراءة في حرص النصارى على هذه الكنيسة يبين لنا ما يكابدونه من المحافظة الزائدة على مقار العبادة وهي مصونة أصلا بحق الشرع. و هذا الموقف يعتبر تحرشا بمشاعر المسلمين عموما والفقهاء خصوصا والذين يعرفون ما في ترك الحبل على الغرب لسفهاء النصارى ومعتصبيهم من إبقاء علاقات ود وتعاون مع النصارى في التخوم الشمالية و استمالتهم للانقضاض على المسلمين، لكن قوة التسامح قيدت المسلمين فلم يتعرضوا إلا للحالات الشاذة كالكنيسة التي تقع على قارعة الطريق والتي قد تقود الى أعمال مشبوهة، ولعل هذا الامر كان دافعا للمرابطين الى هدمها عقابا لهم.

لقد توزعت الكنائس على جميع أنحاء الأندلس، و ليس هناك بالتحديد رقم دقيق لدور العبادة، وان كان سيمونت أشار الى ان عدد المطرانيات والأسقفيات انخفض بعد الفتح الإسلامي للأندلس الى ان صار واحد و ثلاثين كرسيا[2].

ظلت على ارض الأندلس حتى نهاية القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) مقسمة الى نفس المناطق الكنسية التي كانت قائمة أيام القوط و هي: ثلاث مطرانيات (طليطلة- اشبيلية - ماردة)[3] على رأس كل منها مطران، و كل منها تتكون من عدة أبرشيات[4].

[1]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج1، ص22.

[2]-Simonet f j . op-cit p122.

[3]- ماردة: كورة واسعة من نواحي الأندلس ، متصلة بحوز فريش بين الغرب و الجوف من أعمال قرطبة بينها و بين قرطبة ستة ايام، ولها حصون وقرى، ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم البلدان،دار الفكر، بيروت،د.ت، ج5، ص38-39.

[4]-CAGIGA.S I. DE LAS ; MINORIAS ETNICO – RELIGIOSOS DE LA EDAD MEDIA ESPANOLA – LOS MOSARABES ; INSTITUTO DE ESTUDIOS AFRICANOS ; MADRID 1947 ; T1 ; P58.

و يضيف كاجيكاس بأنه في ظل الوجود الإسلاميبالأندلس يمكن إحصاءأكثر من عشر كنائس في قرطبة لوحدها، وتسع بطليطلة، و أربع في ماردة ، وأخرى في غرناطة واشبيلية هذا بالإضافة الى وجود عدد من الأديرة موزعة حول ضواحي قرطبة يصل عددها إلى خمسة عشر ديرا.

كما يشير دوفورك إلى انه خلال القرون التاسع والعاشر والحادي عشر ميلادي كانت توجد بالبيرة مجموعة من الكنائس الجميلة، وفي قرطبة وضواحيها كانت توجد كنائس يقصدها النصارى لتأدية شعائرهم الدينية[1].

وفي هذا الصدد نذكر بأنه في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) كانت توجد كنائس متعددة بالأندلس و بالأخص في مدن وشقة و سرقسطة وكذلك بإشبيلية، كما كانت توجد أيضا في غرناطة و نواحيها عدة كنائس، ولما استرد ألفونسو طليطلة سنة 478هـ/1085م وجد بها تسع كنائس منظمة[2].

وقد ظلت طليطلة (عاصمة القوط القديمة) محتفظة تحت السيطرة الإسلامية بمكانتها كحاضرة دينية، وكانت المقر الدائم لمطران مسيحي الأندلس حتى القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)[3].

أما بالنسبة للمصادر الإسلامية فقد تحدثت عن وجود الكنائس و توزعها على خريطة الأندلس فقد ذكر ابن بسام أن احد الشعراء في عصر ملوك الطوائف قال قصيدة للمعتمد ابن عباد، ضمنها بيتا فيه إشارة لكنائس الأندلس و ذلك بقوله: (الطويل)

و كأنَما كانت هناكَ كنائسٌ قد حانَ فيها للصليبِ سجودُ[4]

[1]- Dufourcq ; op-cit ; p72 .

[2] - Dufourcq ; op-cit ; p72.

[3]- مؤنس حسين، المرجع السابق، ص81.

[4]- ابن بسام علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ/1995م، ج3، ص531.

كما تحدث الشريف الإدريسي عن الدور الذي اضطلعت به كنيسة الغراب بالقرب من شلب بغرب الأندلس، حيث كانت بها ممتلكات وأموال محبسة عليها للإنفاق على الكنيسة و خدامها وذلك من ريع الأحباس، إذ يقول :" ولا سبيل لأحد من المجتازين بها أن يخرج حتى يأكل في ضيافة الكنيسة، ضريبة لازمة وسيرة دائمة، لا ينتقلون عنها ولا يتحولون منها، و ورثها الخلف عن السلف أمر معتاد متعارف دائم، والكنيسة ذاتها كنيسة عامرة بالقسيسين و الرهبان ،و بها أموال مدخرة وأحوال واسعة، وأكثر هذه الأموال محبسة عليها في أقطار الغرب و بلاده، وينفق منها على الكنيسة وخدامها، وجميع من يلوذ بها مع ما يكرم به الأضياف الواردون على الكنيسة"[1].

تزخر كتب النوازل بالمادة التاريخية عن الأموال المحبسة على الكنائس بالأندلس و ما كانت تطرحه من إشكالات فقهية، و من ذلك ما أورده الفقيه احمد بن محمد بن عمر المعروف بابن ورد الأندلسي (المتوفي سنة 540هـ/1146م) عن حرمة أحباس أهل الذمة ، فقد استفتي "عن الأملاك المحبسة على بيعهم و كنائسهم بالأندلس، كيف يكون العمل فيها مع ما ختم به الكتاب من أن قسيسيهم و رهبانهم ذكروا أنهم لا عيش لهم إلا من غلات الاحباس المذكورة"[2].

إن توفر الكنائس على اموال غير قليلة و مداخيل متزايدة في القرن الخامس هجري (الحادي عشر الميلادي) يدل على تأديتها لدور اجتماعي الى جانب دورها الديني ، فقد كانت تتكفل بإطعام الناس وفقا لتقاليد موروثة عن الإسلام ، و هذا ما حدا بالباحث دوفورك للقول بأن تحبيس المسيحيين ممتلكاتهم على الكنائس و الأديرة يدخل ضمن تأثرهم بالإسلام[3].

[1]- الادريسي، المصدر السابق، ص267.

[2]- ابن ورد الاندلسي، اجوبة ابن ورد الاندلسي، تح: محمد الشريف، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان، المغرب، ط1، 2008، ص152.

[3] - Dufourcq ; op-cit ; p149.

ظلت الكنائس بالأندلس تؤدي وظائفها الاجتماعية الى جانب وظائفها الدينية؛ فكان القساوسة يعقدون الزيجات ، ويعمدون المواليد ، ويختارون لهم الأسماء المستوحاة من ثقافتهم وتقاليدهم، هذا بالإضافة الى قيامهم بتسجيل المبايعات والعقود الجارية بين أبناء طائفتهم[1].

و في هذا المنحنى يذكر دوفورك بان هذه الوظائف تم الحفاظ عليها و ظلت تؤدي عملها وفق الطريقة الأندلسية، وبأن هذه التقاليد ظلت تصاحبها ألحان خاصة في ذلك المناسبات[2].

2- طقوسهم:

مما لا شك فيه أن بلاد الأندلس عرفت تسامحا غير عادي مع الأديان، حيث عاش النصارى حالة من الحرية و الازدهار قل نظيرها في البلدان الأخرى ؛ فقد سمح المسلمون للنصارى بممارسة شعائرهم و طقوسهم الدينية بكل حرية، حتى أن بعض المسلمين متعودين على بساطة الشعائر الإسلامية كانوا يشعرون بمظاهر الأبهة من خلال مشاهدتهم لاحتفالات النصارى بالمناسبات الدينية، و للدلالة على ذلك نشير إلى مشاهدات أبي عامر بن شهيد[3] عند مبيته بإحدى كنائس قرطبة خلال عصر الطوائف و ذلك بقوله :"و قد فُرشتْ بأضغاثِ آسٍ، وعُرشتْ بسرور واستئناسٍ، وقَرعُ النواقيسِ يُبهج سمعه، و برق الحُميَا يُسرج لمعه، و القُس قد برز في عبدة المسيحِ متوشحا بالزنانيرِ أبدع توشيحٍ، قد هجروا الأفراح، وطرحوا النعم كل اطَراحٍ:

لاَ يَعْدُونَ إِلَى ماءٍ بِآنِيَةٍ إِلاَّ اغْتِرَافاً مِنَ الْغُدْرَانِ بِالرّاحِ

وأقام بينهم يعملها حميا، كأنما يرتشف من كأسها شفة لمياه، وهي تنفح له بأطيب عرف، كلما رشفها أعذب رشف، ثم ارتحل فقال:

---

[1]- مؤنس حسين، المرجع السابق، ص105.

[2]- Dufourcq ; op-cit ; p741.

[3]- هو احمد بن عبد الملكبن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد الملقب بذي الوزارتين، من أهل الأدب، توفي سنة426هـ/1034م، الظبي أبو جعفر أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة ، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، تح: روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1407هـ/1997م، ص163.

وَلُبَّ حانٍ قَدْ شَمَّرَتْ بِيَدِهِ خَمْرَ الصِّبَا مُزِجَت بِصَرْفِ عَصِيرِهِ

فِي فِتيةٍ جَعَلُوا السُّرُورَ شِعَارَهُمْ مُتَصَاغِرِينَ تَشَفُّعاً لِكَبِيرِهِ

وَالْقُسُّ مِمَّا شَاءَ طُولَ مُقَامِنَا يَدْعُو بِعُودٍ حَوْلَنَا بِزَبُورِهِ

يَهْدِي لَنَا بِالرَّاحِ صَفْرَ خَفِيَّةُ التَّمَاحِ خَفِيرِهِ

يَتَنَاوَلُ الظُّرَفَاءَ فِيهِ وَشُرْبُهُمْ لِسُلافِهِ وَالأَكْلُ مِنْ خِنْزِيرِهِ "[1].

ومما يؤكد تسامح المسلمين مع النصارى في أداء طقوسهم وشعائرهم الدينية، ما ورد في إشارات بعض فتاوي القرن الخامس الهجري(الحادي عشر الميلادي)، وبخاصة في عصر المرابطين الذي لم يسلم من انتقادات بعض المؤرخين الأوروبيين الذين اتهموا المرابطين بالتشدد، و من تلك الإشارات ما ورد على لسان ابن عبدون من شيوع سماع أجراس الكنائس، وهو ما لم يكن مقبولا بالنسبة له كمحتسب في ذلك العصر و يرى فيه تساهلا في التعامل مع النصارى إذ يقول :" يجب أن يقطع ببلاد الإسلام ضرب النواقيس، وإنما تضرب في بلاد الكفر"[2].

كما أن هناك فتاوى أخرى يمكن أن نستدل منها على مظاهر تسامح المسلمين مع النصارى في أداء شعائرهم و طقوسهم داخل الكنائس، والتساهل في السماح بحضور النساء المسلمات لمشاهدتها داخل الكنائس، على الرغم من معارضة الفقهاء لذلك، و في ذلك يقول ابن عبدون :" يجب أن تمنع النساء المسلمات دخول الكنائس المشنوعة فان القسيسين فسقة لوطة"[3].

يشير ابن عبدون في هذا السياق الى انحدار القيم الأخلاقية للنصارى في ذلك العصر، وحرص المعتضد بن عباد على إلزامهم بقواعد معينة لمنع الاختلاط داخل الكنائس وذلك بقوله: " يجب أن تمنع الإفرنجيات من الدخول في الكنيسة إلا في يوم فضل أو عيد فإنهن يأكلن ويشربن ويزنين مع القسيسين، وما منهم من احد إلا وعنده منهن اثنتان أو أكثر يبيت معهن، وقد صار هذا عرفا

[1]- ابن خاقان أبو النصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي، مطمح الأنفس و مسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تح: محمد علي شوابكة، دار عمار، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط1، 1403هـ/1983م، ص194-195.

[2]- ابن عبدون، المصدر السابق، ص55.

[3]- نفسه، ص48.

عندهم لأنهم حرموا الحلال و استحلوا الحرام، يجب أن يؤمر القسيسون بالزواج كما في ديار المشرق ولو شاءوا لفعلوا، يجب أن لا تترك في دار القسيس امرأة لا عجوز ولا غيرها أن تأبى الزواج، يجب أن يجبروا على الختان كما كان يفعل بهم المعتضد بن عباد"[1].

وتؤكد تلك الإشارات الواردة في الفتاوي ما تمتع به النصارى من حرية خلال القرن الخامس هجري (الحادي عشر الميلادي)، و هذا ما دفع ببعض الفقهاء مثل ابن عبدون إلىإبداء نوع من التشدد تجاه الجهر بتلك الممارسات و الأفعال القبيحة التي كانت تجري وسط دور العبادة.

ويعترف دوفورك بأن السلطات الإسلامية لم تقم بمضايقة النصارى بالأندلس، بل على العكس من ذلك سمحت لهم بقرع الأجراس داخل الكنائس و خارجها في المواكب المسيحية أين يكون الصليب مرفوعا و ظاهرا و الشموع موقدة، وحسب المصادر فان السلطات الإسلامية لم تتخذ إجراءات لوقف تلك المظاهر، على الرغم من تشدد الفقهاء إزاء ذلك حيث طالب ابن عبدون بذلك عند ما قال : يجب أن تقطع ببلاد الإسلام ضرب النواقيس و إنما تضرب في بلاد الكفر"[2].

لم يشمل هذا التسامح الكنائس و الأديرة فقط بل شمل رجال الدين. و لا شك أن تتبعنا لأدائهم وظائفهم الدينية في ظل الحكم الإسلامي سيؤكد ما ذهبنا إليه من تسامح السلطات الإسلامية معهم، بل و تغاضيها أحيانا عن بعض مسلكياتهم التي أزعجت الفقهاء ومتولو الحسبة آنذاك.

3- رجال الدين:

لقى رجال الدين في الأندلس اهتماما كبيرا وتعاملا حسنا من طرف السلطة الإسلامية، ويرجع ذلك للدور الذي لعبه هؤلاء في تنظيم وإدارة شؤون أبناء طائفتهم، فقد كانت الجماعة النصرانية بحاجة إلى القساوسة والرهبان لعقد الطقوس والصلوات الدينية وتعميد أبناء النصارى[3].

---

[1]- ابن عبدون، المصدر نفسه، ص48-49.

[2]- نفسه، ص55

[3]- ابن الخطيب ، المصدر السابق، ص38.

يضاف إلى ذلك قيام بعضهم بأدوار أخرى لصالح السلطات الإسلامية، و من ذلك المهمة الدبلوماسية التي قام بها أسقف طرطوشة[1]، عندما أرسله المقتدر بن هود[2] حاكم سرقسطة برسالة إلى النصراني الذي كان بجوار دولته فرناندو الأول ملك قشتالة[3].

اهتمت السلطة الإسلامية برجال الدين و هذا من أجل حق استدعاء المجالس المسيحية (مجامع القساوسة)، التي كان يجتمع فيها إلى جانب القساوسة مسلمون و حتى بعض اليهود لمناقشة مشاكل النصارى و علاقاتهم بإتباع الديانات الأخرى[4].

كان رجال الدين و هم يؤدون وظائفهم بالأندلس يمثلون البابا في كنائسهم المحلية، و مع ذلك عملوا على اختلاف مستوياتهم بالتوافق مع الحكم الإسلامي بالأندلس و إلى غاية سنة 478هـ/1087م[5].

كان نصارى الأندلس محافظين على علاقاتهم و صلاتهم مع غيرهم من النصارى خارج الأندلس،و قد سافر بعضهم لتأدية الحج في الأراضي المقدسة في بيت المقدس وبيت لحم و الناصرة، ونذكر هنا قس بلنسية الذي سافر إلى فلسطين ومات هناك سنة 480هـ/1087م أثناء إقامته بالقدس[6].

[1]- طرطوشة : و هي حاضرة في سفح جبل، و لها سور حصين، و بها أسواق و عمارات و ضياع قلعة، و إنشاء للمراكب الكبار من خشب جبالها، و بجبالها خشب الصنوبر الذي لا يوجد له نظير في الطول و الغلظ، الحميري، المصدر السابق، ص124.

[2]- هو أحمد بن سليمان بن هود تولى الحكم بمدينة سرقسطة، و ضم إليه مدنا كثيرة بفضل جيشه الضخم، كانت بينه وبين الروم حروب عظيمة، وافته المنية سنة475هـ، ابن الخطيب، المصدر السابق، ص171.

[3]-Cagigas ; op-cit ; t2 ; p454 .

[4] -Duefourcq ; op-cit ; p 83

[5]-Ibid ; p81.

[6] -Duefourcq ; op-cit ; p71.

تميز التنظيم الإداري للنصارى في الأندلس بكونه ضم رتبا شملت الإداريين و رجال القضاء و المشرفين الاجتماعيين، و شمل التنظيم الديني جميع مراتب النصرانية ، و ذلك تسهيلا لأداء العبادات والشعائر التي تعد استمرار للتقاليد النصرانية.

كان العاملالأساسي في استتباب النظام الإداري للطائفة بما يخدم صالحها العام هو تسامح الدولة الإسلامية، كما أن انتشار اللغة العربية ساهم في استمالة أهل الذمة للانصهار في الحضارة العربية الإسلامية، فترقى كثير من أبناء النصارى في المناصب الإدارية بالدولة الإسلامية.

لقد كان النصارى العاملون في الإدارة يؤدون دورهم في الدولة خدمة لأبناء طائفتهم، كما شكلوا وسيطا بينهم مع السلطة الإسلامية، وهو ما أشارت إليه جل المصادر التي تم استنطاقها.

أما بالنسبة لتنظيماتهم الدينية فقد سمح لهم المسلمون بتسيير شؤونهم الكنسية بأنفسهم، وبإقامة شعائرهم و عباداتهم الدينية بكل حرية في مختلف مدن الأندلس فلم تسجل المصادر أي تدخل للسلطات الإسلامية في هذا المجال.

يبقى أن نستجلي دور اليهود وتنظيماتهم الإدارية والدينية والمالية لنستكمل صورة تعاطي أهل الذمة فيما بينهم، وتعاطيهم من الدولة الإسلامية.

المبحث الثاني: التنظيمات الإدارية و الدينية لليهود بالأندلس:

عاش اليهود في الأندلس كغيرهم من فئات المجتمع، و تمتعوا بالحقوق التي أقرها عقد الذمة، وهي حقوق لم يتمتعوا بها خلال الحكم القوطي للأندلس، حيث ازدهرت التجمعات اليهودية بحكم طبيعة السلطة الإسلامية المتسامحة معهم، فكانت لهم بيعهم و رجالات دينهم و محاكمهم الخاصة.

وقد أشرف اليهود على تنظيماتهم الإدارية و على شؤون جالياتهم من تعليم وعبادات دون تدخل أو إكراه من السلطات الإسلامية.

أ- التنظيمات الإدارية لليهود:

لم تذكر المصادر الإسلامية معلومات وافية عن التنظيمات الإدارية لليهود في الأندلس، على الرغم من تمتعهم بالحرية الكاملة في تسيير أمورهم الحياتية من دون تدخل السلطة الإسلامية في

شؤونهم ،حيث وفرت لهم الحماية و الرعاية مما كان له كبير الأثر في رخائهم على المستويات كافة خلال عصر ملوك الطوائف والمرابطين .

كان يطلق على اليهود اسم الجماعة في النواحي الداخلة تحت الزمام الحكم الإسلامي بالأندلس[1]. إذ يتولى شخص من الطائفة إدارة جماعاتهم في المدن الأندلسية، ويمكن أن نلحظ الهيكلة التنظيمية التالية:

1- رئيس الطائفة اليهودية: هو زعيم الجماعة اليهودية، وقد أطلقت عليه عدة تسميات من بينها: (البرور) وله مجلس يسمى (البروريم) وكانوا ينتخبونه أول الأمر ثم أصبح السابقون منهم يعينون من يخلفهم وكانت مدة ولايتهم عاما وقد اختلف عددهم من مدينة إلى أخرى بحسب الجماعة اليهودية وأهميتها، وكانوا مسؤولين أمام الحكومة الإسلامية عن كل ما يتصل بالجماعة من ضرائب والتزامات أخرى[2].

وكانت الارستقراطية عند اليهود هي التي تقوم بدور القيادة المحلية من النخبة المتعلمة، وتتكون في المجتمع اليهودي من الأحبار الرسميين والقضاة الذين لهم سلطة القرار في القضايا الشرعية،ومن أعضاء مجلس الطائفة والأعيان ممن لهم أسباب الوجاهة ما يكفي، ومن رجال المال والكبار التجار الذين من بينهم يتم تعيين اكبر شخصية في الطائفة[3].

تحدث عبد الله بن بلقين عن رئيس الطائفة لدى اليهود في أيام حكمه لغرناطة، وذلك عندما اشار الى انه عين أمينا ليهود اليسانة[4]، وهو ما يفهم منه تدخل السلطة الإسلامية بتعيين رئيس للجماعة اليهودية، اذا ليس من المستغرب فعل ذلك خاصة وان الحكام المسلمون دأبوا على تعين

[1]- مؤنس حسين، المرجع السابق، ص525.

[2]- نفسه، ص525-526.

[3]- الزعفراني حاييم، المرجع السابق، ص78

[4]-اليسانة: و هي مدينة اليهود، و لها ربض يسكنه المسلمون و بعض اليهود، و به المسجد الجامع، من اليسانة إلى قرطبة أربعون ميلا، الإدريسي، المصدر السابق، ص299.

رئيس للطائفة النصرانية (القومس الأعلىالأندلس)،وحددوا له مهام رعاية شؤون أبناء طائفته وتمثيلهم أمام السلطة الإسلامية.

كما أطلق على رئيس الجماعة اليهودية اسم النغيد[1] أو الناسي،وذلك عندما استقلت الجماعات اليهودية بالأندلس عن مركز قيادة بابل في العراق، حينها أصبح النفيد أو الناسي رأس الطائفة ومرجعها[2].

اهتم امراء الطوائف بتنظيم شؤون اليهود، حيث عين بعضهم رئيسا لليهود في امارته، ومن ابرز رؤساء الطائفة وقتها اسماعيل بن النغريلة في غرناطة،حيث صار يلقب باسم النغيد، وقد وصف ذلك ابن بسام بقوله :"وتسمى من خططهم الشرعية بالناغيد معناه المدبر بالعربية، خطة تحاماها قدماؤهم وتطأطأ عنها قديما زعماؤهم اجترأ هو عليها"[3].

كما ترأس الطائفة اليهودية ابنه يوسف بن إسماعيل ابنالنغريلة، حيث ورث والده إسماعيل في هذا المنصب فأصبح رئيسا وناغدا لليهود بغرناطة، و لم يكن قد تجاوز من العمر احدى و عشرين سنة،كما تولى أيضا منصب رئيس الطائفة لدى اليهود في سرقسطة أبا عامر يقوتئيل يوسف[4].

وفي مدينة بجانة تولى رئاسة الطائفة اليهودية بها في نهاية القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) صموئيل هاكوهين بن جوزية اليهودي، وكان عالما بالشريعة اليهودية.

وكانت وظيفة رئيس الطائفة اليهودية تمثيل قومه من اليهود أمام السلطة الإسلامية، كما يتولى أيضا مسؤولية تحصيل الجزية المفروضة عليهم، و ذلك في إطار العلاقة التي تربطهم بالدولة الإسلامية في إطار شروط الصلح.

---

[1]- النغيد: شخصية تقوم غالبا بدور مهم في القصر مثل المستشار الشخصي للملك أو تقوم بمهام السفارة أو ممون الجيش و غير ذلك، الزعفراني حاييم،المرجع السابق، ج1، ص78.

[2]- نفسه، ص49.

[3]- ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ج1، ص479.

[4]- عبد المجيد محمد بحر، المرجع السابق، ص53.

2- **المستشارون (الواعظون):** وهم مجموعة من بطانة رئيس الطائفة وحاشيته من المقربين والناصحين، يعرفون باليوعاظيم (الواعظين)، وتقع عليهم مسؤولية المساعدة والنصح لرئيس الطائفة اليهودية بالأندلس[1].

كما أنهم يقومون بالخدمات المساعدة في إدارة شؤون مجموعتهم، وظلوا يشملون جزءا من هرم السلطة الإدارية لليهود.

3- القاضي عند اليهود:

هو منصب يتولى صاحبه مهمة الفصل في الخصومات بين أبناء طائفته من اليهود وفق شرائعهم وقوانينهم، وكما كانت للنصارى قوانينهم و قضائهم كانت لليهود قوانينهم وقضائهم، وكانت السلطة الإسلامية لا تتدخل في شؤونهم، بل كان للجماعة اليهودية الحق في تطبيق ما تصدره محاكمها من عقوبات.

وفي الحالات التي يقع الخلاف فيها بين المسلمين و اليهود كان الأمر يرفع لقاضي المسلمين[2] فقد كان بوسع كل فردمن أفرادتلك الطوائف أن يتوجه إلى الفضاء الإسلامي بدل التقاضي أمام القضاء الخاص بطائفته، ومن الجانب المبدئي كانت السلطاتاليهودية تعتبر لجوء أحد أتباعها إلى القضاء الإسلامي سبة لشريعتها وخطيئة لا تغتفر جزاؤها حرمان الفرد ولفظه من الجماعة[3].

وعلى الرغم من ذلك التشدد تجاه التقاضي خارج أطر الطائفة وتشريعاتها ومؤسسها، فإن السلطات اليهودية قد تفهمت اكراهات وواقع الحياة اليومية، وبخاصة في مجرياتها الاقتصادية وضرورة المعاملات التجارية، لهذا غضت الطرف عن توجه بعض المتقاضين الى السلطات المدنية لتسهيل مجرى العدالة في الأمور المتعلقة بتحرير العقود وعقود الملكيات والشواهد والتوكيلات والتفويض[4].

---

[1]- مؤنس حسين، المرجع السابق، ص525.

[2]- مؤنس حسين، المرجع نفسه، ص526.

[3]- الزعفراني حاييم، المرجع السابق،ج1، ص36.

[4]- نفسه، ج1، ص37.

كانت الخلافات التي تقع بين اليهود يتم رفعها إلى المحاكم اليهودية، ومن أشهر من تقلد منصب القضاء لديهم: القاضي يوسف بن سهل[1] الذي أظهر براعته في العلوم الدينية فعينه اليهود قاضيا شرعيا في مارس سنة 507هـ/1113م، وقد استمر في ذلك المنصب إلى أنمات حوالي سنة 517هـ/1123م أي في عصر المرابطين[2].

كما تولى منصب القضاء لليهود في قرطبة أيضا القاضي الشاعر و العالم التلمودي أبو عمر يوسف بن صديق [3]وذلك سنة 533هـ/1138م، واستمر حتى وفاته سنة 543هـ/1148م[4].

وعلى الرغم من الاستقلال الإداري والتشريعي للطائفة اليهودية فإن بعض اليهود كان يتجه إلى المحاكم الإسلامية طواعية و ذلك طمعا في عدل الإسلام وإنصافه، حيث لا يتناقض اختصاص اليهود بقاض من أهل دينهم مع سماحة السلطة الإسلامية لهم بأن يتناقضوا إذ هم شاءوا أمام القضاء الإسلامي، وتوجد عدة أمثلة على طلب اليهود بأن ينظر قضاة المسلمين في بعض قضاياهم ومنازعاتهم، ومثال ذلك قصة أوردها الونشريسي عن لجوء اليهود واختيارهم التقاضي عند المسلمين حيث يقول: "سئل ابن العطار عن جماعة من اليهود يطالبون شخصا منهم بمظالم ودعاوى ويزعمون أن لهم براهين ببينة اليهود، والمدعى عليه يرغب بمحاكمته عند حكام المسلمين، إذ بيده وثيقة عربية بعدول المسلمين مما يطالبونه به"[5].

---

[1]- يوسف بن سهل تلميذ للعالم اليهودي الشهير إسحاق بن غياث، و من إخلاصه أنه رافقه حتى وفاته بقرطبة، حيث استقر بها، و قد أظهر براعة في العلوم الدينية بين يهود قرطبة، و بعد ذلك تولى منصب القضاء لليهودحتى وفاته سنة533هـ/1138م، عبد المجيد محمد بحر، المرجع السابق، ص66-67.

[2]- عبد المجيد محمد بحر، المرجع نفسه، ص 67.

[3]- يسمى ديان تولى منصب القضاء لليهود في قرطبة، له إسهامات في المنطق و الفلسفة، كما تميز باطلاعه الواسع على التراث الإغريقي مثل كتب أفلاطون و أرسطو، بالإضافة إلى انفتاحه على التراث العربي و بخاصة رسائل إخوان الصفا، عبد المجيد محمد بحر، المرجع نفسه، ص 67-68.

[4]- عبد المجيد محمد بحر، المرجع نفسه، ص67-68.

[5]- الونشريسي، المصدر السابق، ج10، ص156.

كما أورد الونشريسي مثال أخر لما طرحه تقاضي اليهود عند المسلمين من خلافات بين الفقهاء، فالبعض رأى بوجوب الحكم بينهم، في حين ترك لهم آخرون الخيار، و قول:" سئل فقهاء قرطبة عن يهود ذكر أن امرأة طلبته، وهي منهم عند قضاتهم بأشياء ادعتها على أبيه، وأنه على الفعل عليه فيما طالبته به، وأن بيده سجلا لقاضي الجماعة ووثائق منعقدة بالخط العربي وشهود المسلمين، وأثبتت أن قضاة اليهود وفقهاؤهم على عداوة أبيه، وأتت المرأة و زعمت أن حقها ثبت عند قضاتهم، وشهودها من اليهود، ومتى خرج نظرها عنهم بطل حقها.

فأجاب أصبغ بن سعيد: إذ قد أتاك اليهودي راغبا في النظر له فقد وجب له النظر، لا سيما ما استظهر به عندك من تقديم نظر القاضي في ذلك وعداوة الجميع لأبيه.

وأجاب ابن عبد ربه: الذي جرى به العمل ببلادنا إذا تظالم اليهود فيما بينهم في الأموال والحقوق ودعا أحد الخصمين منهم إلى حكم الإسلام، ودعا الثاني إلى قضاتهم، أن يرفعوا إلى قضاتهم، كيف والطالبة تقول إن شهودها من أهل ملتهم و لا تمكنهم الشهادة إلا عند قضاتهم، و إنما يخير حكم المسلمين في الحكم بينهم أو يصرفهم إلى قضاتهم إذا جاءوا راضين بحكم المسلمين"[1]، ومصداق ذلك قوله تعالى:﴿"إِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُم (42)"[2].

ويعتبر حاييم الزعفراني حالة تقاضي اليهود أمام الشرع الإسلامي بأنها تشكل رباطا هاما في العلاقة بين المسلمين واليهود ،وبأنه رغم تمتع اليهود باستقلالية قانونية في مجال القضاء فأن ذلك لم يمنع أبناء الطائفة من ان يتوجهوإلى القضاء الإسلامي ممثلا في القاضي والعدول و معاونيهما ومساعديهما بدل السلطات الربية،كما جرت بذلك عادتهم في بلاد الإسلام[3].

[1]- الونشريسي، المصدر نفسه، ج10، ص128-129.

[2]- سورة المائدة، الآية 42.

[3]- الزعفراني حاييم، المرجع السابق، ج1، ص75.

4- مجلس المدينة :

عرفت المجتمعات اليهودية في المدن الأندلس نظاما يسمى مجلس المدينة،ومهمة هذا المجلس هي الإشراف على إدارة شؤون الطائفة في المدينة، و المجلس يتكون من سبعة أشخاص يسميهم اليهود (الشيوخ)، و يصلون إلى هذا المجلس بالانتخاب، وفترة انتداب هذا المجلس بالانتخاب، وفترة انتداب هذا المجلس سنة واحدة، تحسب بالتقويم اليهودي، وقد أخذ يهود الأندلس هذا الشكل من التنظيم الإداري عن الرومان الذين اعتمدوا في إدارة مدنهم على مجلس منتخب من أبناء تلك المدن.

لقد مارس اليهود هذا التنظيم منذ عهد الحكم الروماني، لإسبانيا و تمسكوا به في عهد القوط، ولم يتركوه إلا بعد أن اشتد عليهم اضطهاد القوط الكاثوليك ثم عادوا إليه طوال مدة الحكم الإسلامي للأندلس.

وقد اضطلع مجلس المدينة لدى اليهود بمهام متعددة، فقد كان يقوم بتشريع القوانين ويسهر على احترامها والتزام اليهود بها، حيث كان أحبار و علماء اليهود يوصون بطاعة هذه القوانين باعتبارها قائمة على الشريعة اليهودية، وقد سميت مجوعة القوانين التي يصدرها المجلس بالتقنوت[1]، وهي كلمة عبرية، كما سميت أيضا (الضوابط)، وهو الاسم العربي للكلمة العبرية السابقة[2].

و كانت لغة (الضوابط) هي العربية بالرغم من وجود بعض الكلمات العبرية فيها، وذلك حتى تكون مقروءة ومفهومة للجميع بما فيها السلطات الإسلامية لكي يسهل الاطلاع عليها ومراقبتها. وكان يتم الإعلان عنها بعد مصادقة قادة الطائفة عليها، حيث يدعى على اجتماع يحضره جميع يهود المدينة في أحد أماكن العبادة عند اليهود[3].

[1]- التقنوت: و هي النوازل أو الاحكام الفقهية التي سنها علماء اليهود على مر العصور، الزعفراني حاييم،المرجع السابق، ج1، ص265.

[2]-Ashtor e ; the jews of moslemspain ; 3 volumes ; jewish publication society of america ; philadephia ;1979. P109 .

[3] -Ashtor .e ; op-cit ; vol 3 ; p110.

ب- التنظيم الديني لليهود:

تكاد المصادر الإسلامية التي تناولت حياة الطائفة اليهودية بالأندلس تكون قليلة مقارنة بالمصادر عند الحديث عن طائفة النصارى في ذلك العصر، وفيما يتعلق بالتنظيم الديني لليهود تجدر الإشارة إلى أن المصادر نفسها صمتت عن الحديث عن هذا الجانب من حياة تلك الطائفة، وربما يعود مصدر قلة المعلومات عن الحياة الدينية لليهود إلى انعزالهم في أحياء خاصة بهم أو تكتمهم الشديد على جوانب حياتهم الروحية.

لقد عزز فكرة تكتل اليهود في أحياء خاصة بهم و استقلالهم بها اعتقادهم أن الآخرين يكرهونهم و يقسون في معاملتهم لهم، و لهذا أحاط اليهود أحياءهم بأسوار يغلقون أبوابها عند غروب الشمس كل يوم، و إن كانت حجتهم في ذلك الحفاظ على تقاليدهم و عاداتهم الخاصة التي لا يريدون لغيرهم الاطلاع عليها[1].

ويذكر دوفورك في هذا الصدد أن اليهود عملوا على أساس أنهم أهل الذمة يعيشون في أحياء خاصة بهم تدعى أحياء اليهود، حيث توجد بهذه الأحياء البيع و الحمامات، كما توجد بها أيضا مقابرهم الخاصة لدفن موتاهم[2].

ويؤكد انعزال اليهود في أحياء خاصة بهم ما أوردته بعض المصادر عن حي اليهود بقرطبة وأن له باب يسمى باب اليهود، الذي قال فيه أبو عامر بن شهيد البيتين التاليين:

لقد أطلَعوا عندَ بابِ اليهودِ شمساً أبى الحسنُ أن تكسُفا

ترلهُ اليهـودُ على بـابِهـا أميراً فتحـسَبه يوسـفَا[3].

[1]- عبد المجيد محمد بحر، المرجع السابق، ص07.

[2] -Dufourcq ;op-cit ; p183 .

[3]- ابن خاقان، المصدر السابق، ج2، ص439.

استقر اليهود بالأندلس قبل الفتح الإسلامي لها سنة 92هـ/711م، ولكنهم عانوا الاضطهاد والمضايقة خلال حكم القوط فقط حرموهم من ممارسة شعائرهم الدينية، بل وأكثر من ذلك فرضوا عليهم اعتناق المسيحية أو الرحيل عن إسبانيا[1].

ولقد استمر الظلم مسلطا على اليهود حتى مجيء المسلمين للأندلس، حينها تمتع اليهود بالحرية في ممارسة شعائرهم الدينية فكانوا محترمين ومحميين وفق الضوابط التي أقرت في إطار عقد الذمة بين المسلمين و أهل الذمة(اليهود و النصارى).

كانت للطائفة اليهودية أماكن عبادتها ورجال دينها، فالبيعة هي مكان الصلاة ومقر الدرس والتعليم، وهي كذلك مكان تعليم الكبار ليلا بالدرس أو بالوعظ[2].

لعب علماء اليهود و أحبارهم دورا فاعلا في المجتمع اليهودي فهم " أصحاب الأمر والنهي في الأمور الشرعية وسدنة العقيدة والتقاليد "[3]، ونذكر هنا الحبر الأعظم لليسانة إسحاق بن غيث (ولد سنة 430هـ/ 1038م) وهو عالم متبحر في التفسير والفقه اليهودي، وقد رفع من شأن مدرسة اللاهوت باليسانة، وله أشعار دينية نظم معظمها على نمط الموشحات، وكان لوفاته أثر كبير على أبناء طائفته سواء في داخل الأندلس أو خارجها[4].

ت- التنظيم المالي لليهود:

تطورت القطاعات الاقتصادية بالأندلس خلال ملوك الطوائف والمرابطين تطورا كبيرا، فقد شهدت الأندلس ازدهارا للتجارة بعدما أصابها الركود خلال سنوات الفتنة، وقد انعكس هذا الجو على طائفة اليهود بصورة خاصة، لما كان لهم من دور في تنشيط التجارة والتحكم في عائداتها المالية.

لقد كان لليهود بالأندلس تنظيماتهم المالية الخاصة، وإن إحدى المهمات الصعبة التي تولاها مجلس المدينة هي الإشراف على جمع الجزية المقررة على يهود المدينة وتسليمها للسلطات الإسلامية،

[1]- عبد المجيد محمد بحر، المرجع السابق، ص13-15.
[2]- الزعفراني حاييم، المرجع السابق، ج2،ص 362.
[3]- نفسه،ج2، ص349.
[4]- عبد المجيد محمد بحر، المرجع نفسه، ص61-63.

إضافة إلى جمع الضرائب والتبرعات التي يفرضها مجلس المدينة على اليهود، لتنفق على قضايا عامة تتعلق بمصالح الطائفة اليهودية[1].

ومن بين الضرائب التي كان يفرضها مجلس المدينة على اليهود بالأندلس ضريبة تسمى (المعونة)، وهي ضريبة تجبى بشكل رئيسي من ذبح الماشية و بيع الخمور، و أحيانا من كتابة محاضر المعاملات، و كانت هذه الضريبة هي المصدر الأكثر أهمية لدخل الطائفة اليهودية على مدى الأجيال.

خصص اليهود في الأندلس دخل الضرائب لدفع أجور الأحبار و المعلمين المشتغلين بالتعليم تحت سلطة الطائفة و على حسابها، كما تم تخصيص ضريبة خاصة لرواتبالقضاة، فثمة كاتب يهودي أندلسي في القرن الخامس الهجري(الحادي عشر الميلادي) يقول بأنه كان لدى اليهود صندوق نقد لمحاكم الطائفة تجمع فيه الضرائب عند بداية أو نهاية العام[2].

تميز يهود الأندلس بتنظيم مجتمعاتهم تنظيما محكما و دقيقا شمل المناحي الإدارية والدينية والمالية، كما حافظوا على تناغم تنظيمهم الإداري و المالي مع تنظيم الإدارة الإسلامية، فكانوا يؤدون واجباتهم اتجاه الدولة الإسلامية بصفتهم ذميين مساعدين في كافة المجالات و بالأخص في المجال المالي.

لقد حافظ اليهود بانزوائهم في أحياء خاصة بهم على عاداتهم و تقاليدهم، واعتمدوا على بعض رجالتهم لتسيير أمورهم الداخلية بمعزل عن سلطة الدولة الإسلامية، إلا أن انخراطهم في الدولة الإسلامية، و اتقانهم اللغة العربية جعلهم يتبوؤون مكانة عالية في هرم الدولة الإسلامية.

استفاد اليهود من جو التسامح الذي طبع الدولة الإسلامية ليحيوا عباداتهم و شعائرهم بعدما عانوه من الاضطهاد الذي لاقوه خلال حكم القوط للأندلس، و الذين راموا القضاء على يهوديتهم بل و أكثر من ذلك فرضوا عليهم التنصر و اعتناق المسيحية، و في ظل الإسلام نعموا بوافر الحرية والتسامح حيث يتسنى لهم إقامة حياة ثقافية و دينية جديدة.

[1] -Ashtor .e ; op-cit ; vol 3 ; p110-111.

[2]-Ashtor .e ; op-cit ; vol 3 ; p111.

إن القيام بمزيد من دراسة التنظيم اليهودي في الدولة الإسلامية وبخاصة في الأندلس، سيعطي لا شك لوحة أكثر اكتمالا عن أوضاعهم طيلة وجودهم بها.

وكان هذا باستخلاص تنظيمات أهم المجموعات السكانية التي تطالها صفة الذميين في الدولة الإسلامية بالأندلس وواقعها من ناحية تنظيماتهم الإدارية والدينية والمالية في ظل إسلام سمته التسامح، بل وأكثر تشجيعا للمجموعات التي ظلت تابعة للدولة في إطار عقد الذمة، حيث نعموا بالشروط التي كفلت استقلاليتهم في تنمية مجتمعاتهم و كياناتهم الذاتية بما يخدم صالح المجموع العام.

الفصل الثالث:

الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية للنصارى و اليهود بالأندلس.

المبحث الأول: الحياة الاقتصادية و الاجتماعية للنصارى بالأندلس.

المبحث الثاني: الحياة الاقتصادية و الاجتماعية لليهود بالأندلس.

تطورت الأنشطة الاقتصادية في الأندلس تطورا كبيرا، فقد سمح المسلمون للنصارى و اليهود بالمشاركة في مختلف الأنشطة الاقتصادية التي عرفتها الأندلس و تنوعت مجالات عملهم، إلا أنهم اشتغلوا بالتجارة بشقيها الداخلي و الخارجي مما انعكس ايجابيا على أوضاعهم الاجتماعية.

كما أننا نجدهم ينشطون في زراعة الأرض و بعض النشاطات الأخرى. فساهموا في إعمار الأندلس و فاض إنتاجها، و استغنى أهلها و عاشوا رغدا بفضل جو التسامح و الحرية التي أشاعها الإسلام. و قد انعكس الوضع الاقتصادي على الوضع الاجتماعي فاختلط الناس و امتزجوا و شارك بعضهم البعض في الأعياد و الأفراح.

المبحث الأول: الحياة الاقتصادية والاجتماعية للنصارى بالأندلس:

1- الحياة الاقتصادية للنصارى بالأندلس:

أ- التجارة عند النصارى :

سمح الإسلام لغير المسلمين بالعمل و الكسب، و مباشرة ما يريدون من ألوان النشاط الاقتصادي شأنهم في ذلك شأن المسلمين، و قد قرر الفقهاء حقهم في البيوع و التجارات و سائر العقود و المعاملات المالية كمسلمين، ولم يستثنوا من ذلك إلا عقد الربا فإنه محرم عليهم كالمسلمين[1].

لم يهتم النصارى في الأندلس بالتجارة كما اهتم بها اليهود، فقد كان دورهم في هذا الميدان ضعيفا، و مع ذلك كان لهم وجود في أسواق الأندلس إلا أنهم لم يكونوا مسيطرين ولا كثيري العدد، و يبدو أن دورهم كان متواضعا في ممارسة التجارة بخلاف اليهود و المسلمين[2].

و يمكن أن نشير إلى الدور التجاري للنصارى بالأندلس من خلال مشاركتهم في التجارة الداخلية و الخارجية، فعلى المستوى المحلي كان النصارى يمارسون التجارة من خلال محلات يعرضون فيها منتوجات متنوعة للزبائن على اختلاف ديانتهم، و نتيجة لإتقانهم اللغة العربية التي كانوا

[1]- القرضاوي يوسف، المرجع السابق، ص22.

[2]- كونستبل أوليفيا ريمي، التجارة و التجار في الأندلس، تر: فيصل عبد الله العبيكان، الرياض،ط1، 1423هـ/2000م، ص115.

يتواصلون بها مع المسلمين، و من أجل جلب الزبائن منهم كانوا يقومون بالحلف باسم النبي محمد (صلى الله عليه و سلم) أن منتجاتهم من النوعية الجيدة[1].

أما على مستوى الخارجي فقد شارك النصارى بفعالية كوسيط في التجارة بعيدة المدى بين الأندلس و ممالك الشمال النصرانية، حيث كان الاتصال الاقتصادي وقتها يمر عبر طريق شنت ياقب و ذلك خلال عصر الطوائف[4].

إن الاستقرار النسبي الذي عرفته الأندلس بعد الاضطرابات التي عرفتها نهاية الدولة الأموية وبداية قيام ملوك الطوائف ساعد أسواقالأندلس على الارتباط بالتجارة المتوسطية و التي عرفت بفعاليتها حتى أواخر القرن 6هـ/12م[5].

لقد كان لغنى الأندلس و كثرة و تنوع ثرواتها دور في الترويج للتجارة البعيدة المدى، فعلى سبيل المثال اختصت بعض المناطق الأندلسية بإنتاج محصول معين مثل مدينة مالقة التي اشتهرت بوفرة التين، حيث كان ينقله النصارى في المراكب عبر الطرق البحرية لغرض التجارة به[6].

و أما في مدينة ألمرية التي اشتهرت بمينائها على البحر، فقد كان النصارى يقومون بتصدير واستيراد المواد التجارية عبر ذلك الميناء[7]، و بذلك أبانوا عن مساهمتهم في التجارة عبر البحر الشامي (البحر الأبيض المتوسط).

كما شاركت المدن الأندلسية الواقعة على الساحل في تلك التجارة ، فكانت مدينة ميورقة على اتصال بمدينة جنوة، و ذلك بعد عقد معاهدة تجارية بينهما سنة 594هـ/1198م، حيث كان

[1] - Dufourcq ;op-cit : p389 .

[4] - كونستبل، المرجع السابق، ص87.

[5] - نفسه، ص38.

[6] - المقري، المصدر السابق، ج3، ص219.

[7] - نفسه، ص220.

التجار النصارى في تلك الجزيرة قد استفادوا من ترويج المبادلات التجارية بين الجانبين ، مما انعكس عليهم بالدعة و الأمن والطمأنينة[1].

إنأهم المواد التي كان يتاجر بها النصارى هي الرقيق و الأخشاب،و ذلك لما عرفت به من أهمية كبرى في المبادلات التجارية آنذاك[2] .

وبالإضافة لما سبق تاجر النصارى أيضا في بعض المنتجات و السلع مثل الخمور التي كان المسلمون يقبلون على شرائها منهم مقابل ثمن متفق عليه، على الرغم من حرمة ذلك و معارضة الفقهاء لمثل تلك البيوع ، و يؤكد ذلك ابن عبدون بقوله:" و إذا اشترى مسلم من نصراني خمرا كسر من وجدت بيده منها، فان كان النصراني قد قبض الثمن ترك له و إن كان لم يقبض له به، و إن فاتت الخمر بيد المسلم و لم يكن يدفع الثمن أخد منه و تصدق به"[3].

كما قام النصارى أيضا ببيع الكتب للمسلمين، و في هذا وردت إشارات في كتب الحسبة تفيد بأنهم كانوا ينسبون الكتب إلىأنفسهم من اجل بيعها، و هو ما حذر منه ابن عبدون بقوله :" يجب أن لا يباع من اليهود ولا من النصارى كتاب علم إلا ما كان من شريعتهم فإنهم يترجمون كتب العلوم و ينسبونها إلىأهلهم و أساقفتهم، و هي من تواليف المسلمين"[4].

و على الرغم من محاولات النصارى تنويع نشاطاتهم التجارية، إلاأنها لا ترقى لعناية اليهود و شهرتهم في ترويج السلع و المنتجات التجارية سواء على المستوى المحلي أو الدولي.

و تعتقد الباحثة كونستبل بأن دور النصارى في التجارة خلال عصر ملوك الطوائف كان قليل الأهمية مقارنة بالدور الذي قام به نظراؤهم من المسلمين و اليهود[5].

---

[1]- عنان محمد عبد الله، المرجع السابق، ق2، ص258.

[2]- كونستبل، المرجع السابق، ص110.

[3]- ابن عبدون، المصدر السابق، ص95.

[4]- نفسه، ص57.

[5]- كونستبل، المرجع السابق، ص159.

ب- الزراعة عند النصارى:

تعد الأندلس بما حباها الله من خيرات جنة الله في أرضه، و قد تحدثت المصادر الإسلامية عما امتازت بها من ماء و هواء و تربة، و من المفيد هنا إثبات نص لصاحب ذكر بلاد الأندلس ووصفها بقوله:" الأندلس جزيرة قد أحدقت بها البحار، و تفجرت في خلالها العيون و الأنهار، و انجلبت إليها الخيرات من جميع الأقاليم،و متى سافرت من مدينة إلى مدينة لا تكاد تمشي إلا في العمارة ما بين قرى و حصون و مزارع و بساتين، و الصحارى بها معدومة لأنها في قلب البحار موضوعة، جمعت بين طيب الهواء و الماء و المدرة"[1].

اهتم النصارى في الأندلس بالزراعة، و قد ساعدهم على ذلك استقرار جماعات منهم في البوادي حيث شكلوا بالأندلس نسبة لا بأس بها من سكان القرى و الأرياف ، و هذا ما أكده ابن حوقل بقوله:" بالأندلس غير ضيعة فيها الألوف من الناس لم تمدن ، و هم على دين النصرانية روم"[2].

و يفهم من خلال بعض الإشارات في النوازل الفقهية ممارستهم الزراعة و امتلاكهم لأصولها ، فقد ورد في فتاوي ابن رشد سؤال حول بيع أصول الكروم من النصارى، رغم قيامهم بعصر الخمر من ثمارها[3].

2- الحياة الاجتماعية للنصارى بالأندلس:

تمتع النصارى بمكانة هامة في الأندلس فكان لانفتاحهم الكبير على غيرهم من مكونات المجتمع الأندلسي دور في إقامة جسور للاتصال مع المسلمين، و ذلك من خلال الاختلاط و الاحتكاك

[1]- مجهول، ذكر بلاد الأندلس و فضلها، لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية،معهد ميغل آسين، مدريد، 1983، ج1، ص12.

[2]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص106.

[3]- ابن رشد أبو الوليد بن محمد بن أحمد، فتاوي ابن رشد، تقديم و تحقيق المختار الطاهرالتليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1407هـ/1978م، ج3، ص1281-1282.

المباشر حيث توجت العلاقات بين الطرفين بإقامة المصاهرة بينهما في وقت مبكر من فتح الأندلس، و هو ما ساهم في امتزاج التقاليد و العادات الاجتماعية بين فئات المجتمع الأندلسي.

أ- الزواج المختلط:

تعد المصاهرة و الزواج المختلط بين المسلمين و النصارى من أهم مظاهر الحياة الاجتماعية التي ميزت العلاقة بين الطرفين ، و من المعروف تاريخيا أن المسلمين عند ما قدموا إلىالأندلس ارتبطوا بالمصاهرة مع النصارى، إذ لا يوجد في الشرع الكريم ما يمنع زواج المسلم من المرأة الكتابية ، و في ذلك يقول ابن القيم الجوزية: "و يجوز نكاح الكتابية بنص القرآن"، قال تعالى:" وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ "[1][2].

و تقوم الحياة الزوجية على السكون النفسي و المودة و الرحمة، إذ لا يوجد حرج في مودة المسلم لغير المسلم[3]، يقول الله تعالى:"وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً "[4]

لقد دأب المسلمون منذ عصر الرسول صلى الله عليه و سلم على الزواج من النصرانيات فتزوج بعض الصحابة من محصنات أهل الكتاب، حيث تزوج كل من عثمان بن عفان و طلحة بن عبيد الله نصرانية[5].

اضطر الجيل الفاتح للأندلس إلى أن يتخذ من نساء أهل البلاد المفتوحة زوجات و أمهات لأولادهم، فأخذ القواد و الجنود بالتسري من بنات المدن الاسبانية المفتوحة، فقد تزوج عبد العزيز بن

[1]- سورة المائدة، الآية 6.

[2]- ابن القيم الجوزية شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، أحكام أهل الذمة، تح: صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، ق2، 1994، ص419.

[3]- القرضاوي يوسف، المرجع السابق، ص75.

[4]- سورة الروم، الآية 21.

[5]- ابن القيم الجوزية،المصدر السابق، ق2، ص421.

موسى بن نصير ايخيلونا، و هي نصرانية تسميها المصادر الإسلامية أم عاصم حيث سكن معها بكنيسة ربينة (santa rufina)في اشبيلية ،و ذلك حتى مقتله سنة 97هـ/716م[1].

قلد الكثير من رجال الفتح ما قام به الوالي عبد العزيز، فقد تبعه عبد الجبار بن نذير الذي تزوج نصرانية، و هي ابنة تدمير صاحب أوريولة[32]، ثم تبعهم عيسى بن مزاحم الذي تزوج من سارة القوطية ابنة ألمند بن غيطشة و أنجب منها عدة أولاد[4].

و في هذا السياق يورد بيير كيشار بان الزواج المختلط بين نساء محليات و فاتحين عرب قد وقع ضرورة، إلا انه يشير إلى انه من اللازم استحضار أن هذه العملية لم تؤثر على وحدة و تماسك عصبية الوافدين، ويتعلق الأمر هنا بالزواج من الإماء و سبي الحملات لكن الأمر يختلف إذا ما تعلق الأمر بنساء محليات ذات مكانة اجتماعية مرموقة ناتجة عن انتمائهن لأسر إسبانية عريقة[5].

و أما في عصر الدولة الأموية فقد أصبح الزواج من النصرانيات تقليدا شائعا حيث اشتهر الحكام الأمويين في الأندلس باتخاذ النصرانيات أمهات لأولادهم حتى صار ذلك عندهم عادة، وفقدوا بذلك نقاوتهم العرقية، و يؤكد ذلك ابن حزم بقوله :" و اما جماعة بني مروان-رحمهم الله- و لا سيما ولد الناصر منهم فكلهم مجبولون على تفضيل الشقرة لا يختلف في ذلك منهم مختلف، و قد رأيناهم و رأينا من رآهم من لدن دولة الناصر إلىالآن فما منهم إلا نزاعا إلىأمهاتهم ،حتى صار ذلك فيهم خلقة"[6].

لقد أصبح الزواج من النصرانيات عادة منتشرة بين مسلمي الأندلس، و قد استمر ذلك ولكن بصورة اقل من عصر ملوك الطوائف و المرابطين ، إذ تقلص عدد مثل هذه الزيجات بفضل

---

[1]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص281.

[2]- أوريولة: حصن بالأندلس و هو من كورة تدمير، و أحد المواضع السبعة التي صالح عليها تدمير بن عبدوس عبد العزيز بن موسى بن نصير حين هزمه عبد العزيز، وكان حصن أوريولة قاعدة تدمير، الحميري ، المصدر السابق، ص34.

[3]- سحر السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص34.

[4]- ابن القوطية، المصدر السابق، ص34.

[5] -Guichard p ;op-cit ; p142 .

[6]- ابن حزم، طوق الحمامة في الألفة و الألاف، المصدر السابق، ص48.

انتشار الإسلام و تضاعف أعدادالمسلمين مقارنة بالنصارى، و مع ذلك بقيت المصادر تورد بعض الأمثلة من المصاهرة بين المسلمين و النصارى، ففي عصر ملوك الطوائف كانت أم علي بن مجاهد العامري صاحب دانية نصرانية[1].

وفي عصر الحكم المرابطي للأندلس و الذي اتسم بقدر من المحافظة لم يجد الأمير المرابطي على بن يوسف حرجا في الزواج بنصرانية، فقد أورد ابن أبي زرع خبر زواجه نصرانية عرفت باسم ضوء الصباح و منها أنجب ابنه تاشفين[2] .

وإذا كان من الممكن إيجاد تفسير لزواج المسلمين الذين وصلوا الأندلس عند الفتح من نصرانيات لأنهم كانوا يدخلون الأندلس رجالا فقط، فإن زواج المتأخرين قد يفسر بما عرفت به المرأة الإسبانية من سمات جمالية لا توجد عند مثيلتها العربية أو البربرية، و من المفيد هنا التذكير بما أورده ابن حزم عن تفضيل حلفاء بني أمية للمرأة الشقراء على غيرها[3] .

لقد كان الزواج الشائع في الأندلس هو زواج المسلمين من نصرانيات، و مع ذلك سجل زواج نصارى من مسلمات إذ تزوج ألفونسو السادس ملك قشتالة وليون كنة المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية[4] .

ب- ظهور فئة المولدين:

كانت طبيعة المجتمع الأندلسي مزيجا من عناصر مختلفة اختلطت بالزواج و المصاهرة حيث التقى فيها العربي و البربري و النصراني، فقد دفعهم بعدهم عن أوطانهم و أسرهم إلى الزواج من نساء البلاد المفتوحة، فكان أن تزوج عبد العزيز بن موسى بن نصير بأرملة لذريق (أم عاصم) و تبعه في ذلك الكثير من الوافدين الجدد، ومن خلال ذلك الزواج ظهر جيل جديد من الأبناء عرف باسم المولدين

[1]- محي الدين صفي الدين، المرجع السابق، ص69.

[2]- ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أحبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط، 1972، ص165.

[3]- ابن حزم، المصدر نفسه، ص48.

[4]- سحر عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص37-38.

الذين شكلوا بمرور الزمن جزءا هاما من سكان الأندلس، و هم يختلفون عن (الأسالمة) أو (المسالمة) فهؤلاء عناصر إسبانية أسلمت مع الفتح الإسلامي أو بعده[1] .

توزع المولدون في مختلف أنحاء الأندلس، إلا أن أعددا كبيرة منهم استقرت بقرطبة حيث كانوا يمارسون حياتهم اليومية كغيرهم من المسلمين .

و يشير هنري بيريس إلى أن الزواج من نصرانيات و ما نتج عنه من ظهور فئة المولدين كان له أثر كبير في الأندلس، حيث شكل هؤلاء تعادلا في الأجناس، ذلك أن المرأة النصرانية ساهمت في تكوين جنس لا يمكن أن يكون عربيا و لا بربريا و لا صقلبيا و لا يهوديا، و الصفة التي يمكن أن تكون ملائمة له هي أن ندعوه إسبانيا أو أندلسيا[2] .

ت- أعياد النصارى:

احتفل نصارى الأندلس بأعيادهم و مناسباتهم الدينية، ولم تتدخل السلطة الإسلامية في شيء من أمورهم بل سمحت لهم بممارسة الشعائر و الطقوس أثناء تلك الاحتفالات التي كانت تجري في جو من الحرية و التسامح، و يكفي أن نستدل على ذلك بحضور المسلمين لها إذ كانت هذه المناسبات تظلهم مع إخوانهم النصارى، فكانوا يترقبون مجيئها، و يحرصون على مشاركة النصارى الاحتفال بها، مما يبعد أي شكل من أشكال التعصب و المضايقة .

و يعترف دوفورك ببهجة الاحتفالات لدى النصارى، و ذلك بقيامهم بتزيين الجدران الخارجية بأشكال جميلة، و يأتي المسلمون لمشاركتهم تلك الاحتفالات و التفرج عليها، حيث يتلقون الهدايا من النصارى في مثل تلك الأيام، بل و أكثر من ذلك يلبون دعوات النصارى لهم إلى الموائد والوجبات الخفيفة[3] .

---

[1]- نفسه، ص48.

[2]- هنري بيريس، الشعر الأندلسي في عصر ملوك الطوائف، تر: الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهر، ط1، 1408هـ/1988م، ص 255.

[3] - Dufourq ; op-cit ; p 75676.

وقد ارتبطت أعياد النصارى في الأندلس بأحداث وقعت للمسيح عيسى بن مريم عليه السلام، و من هذه الأعياد:

- عيد النيروز أو رأس السنة الشمسية:

كان من عادات النصارى فيه أنهم يشترون بعض اللوازم للاحتفال به كالحنا و اللحم، كما كانوا يضعون بهذه المناسبة حلوى و فواكه ذات أشكال و أصناف يتباهون في إعدادها و توزيعها على الأطفال لإدخال السرور عليهم و توسيعا في الترفيه على أنفسهم[1] .

و لم يكن لهذا العيد أن يمر من دون اهتمام المسلمين و ذلك بتمثله و استشعاره، فقد خلد الشاعر ابن عمار عند ما أهدى إلى المعتمد بن عباد ثوب صوف بحري يوم نيروز و كتب معه:

لما رأيتُ الناسَ يحتشدونَ في إتحاف يومِ مجيئتُه من بابِه

فبعثت الشمسَ شبة آياتها و كسوتُ متنَ البحرِ بعضَ ثيابِه[2].

- عيد الفصح:

يعتبر من أهم الأعياد لدى النصارى الذين يسمونه بعيد خميس أبريل أو خميس العهد،و فيه يشترون المجبنات و الإسفنج[3] .

كان النصارى يجتمعون في الكنائس بمناسبة قدوم الفصح حيث يؤدون مراسمهم الدينية بالصلوات و تلاوة الأناجيل .

[1]- دندش عصمت عبد اللطيف، دراسات أندلسية في السياسة و الاجتماع، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2009م، ص184-185.

[2]- ابن الآبار أبو عبد الله بن محمد القضاعي، الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985م، ج2، ص162.

[3]- الطرطوشي أبو بكر محمد بن الوليد الفهري، الحوادث و البدع، إشراف لجنة التحقيق بدار الفتح، الشارقة، ط1، 1415ه/1995م، ص117.

- **عيد العنصرة:**

و يسميه الأندلسيون المهرجان، و يكون في الرابع و العشرين من يونيو[1] ، و يوافق بداية الصيف في الأندلس، و قد خلدته أشعار كثيرة إذ يقول فيه حسان بن مالك بن أبي عبدة (توفي سنة 416هـ/1025م):

أَ رَى الْمِهْرِجَانَ قَدْ اسْتَبْشَرَا غَدَاةَ بَكَى الْمُزْنُ وَ اسْتَعْبَرَا

وَ سُرْبِلَتْ الأَرْضُ أَهْوَاهَا وَ جَلَلَت السُّنُدُسَ الأَخْضَرا[2] .

- **عيد البشارة:** يحتفل به النصارى يوم الخامس و العشرين من شهر مارس لاعتقادهم أن جبريل عليه السلام بشر فيه مريم بميلاد المسيح عيسى عليه السلام، حيث يمارسون في هذا اليوم بعض العادات كالامتناع عن إقامة مراسيم الزواج[3] .

- **عيد ميلاد المسيح عليه السلام:**

يحتفل به النصارى ليلة الخامس والعشرين من شهر ديسمبر، و هو من الأعياد المعظمة عندهم حيث يتبادلون فيه الهدايا و بخاصة المأكولات والحلوى[4].

- **عيد العصير:**

وهو من الأعياد الموسمية التي يحتفل بها النصارى، و كان وقته في الخريف عند جني العنب حيث يخرج الناس مع أولادهم و عائلاتهم إلى الحقول و البساتين القريبة، و قد ارتدوا أحسن و أجمل ما عندهم من الملابس و الحلي، و يصحبون معهم أصناف المأكولات[5].

كما كانت للنصارى أعياد أخرى يحتفلون بمناسبتها ببعض القديسين و ذلك تيمناً وطلبا لبركتهم.

---

[1]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص128.

[2]- ابن خاقان، المصدر السابق، ص 214.

[3]- محي الدين صفي الدين، المرجع السابق، ص55.

[4] -Dufourq ; op-cit ; p75.

[5]- دندش عصمت عبد اللطيف، المرجع السابق، ص189.

- اللباس عند النصارى:

تمتع النصارى بالكثير من التسامح في عهد المرابطين و عهد ملوك الطوائف، فقد أبطلت السلطات الإسلامية في ذلك العصر العمل بإلزام أهل الذمة التقيد بلباس معين يميزهم عن المسلمين، على الرغم من أن الشرع الإسلامي كان قد ألزم أهل الذمة بلباس معين تمييزا لهم عن المسلمين وذلك ضمن شروط إقامة أهل الذمة في الدولة الإسلامية.

لقد وضع الفقهاء ضوابط لباس أهل الذمة و زيهمبأن" لا يترك أحد منهم يتشبه بالمسلمين في لباسه ولا في مركبه و لا في هيئته، و يؤخذوا بأن يجعلوا في أوساطهم الزنارات مثل الخيط الغليظ يعقده في وسطه كل واحد منهم، و بأن تكون قلانسهم مضربة، و أن يتخذوا على سروجهم في موضع القرابيس مثل الرمانة من خشب، و بأن يجعلوا شراك نعلهم مثنية و لا يحذو على حذو المسلمين، و تمنع نساؤهم من ركوب الرحائل... هكذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر عماله بأن يأخذوا أهل الذمة بهذا الزي، و قال حتى يعرف زيهم من زي المسلمين"[1] .

لقد تحدتث المصادر الإسلامية عن عادات الأندلسيين في اللباس دون تمييز بين المسلمين والنصارى، فقد أورد المقري في معرض حديثه عن فراء القنلية حيث يقول: " والقنلية حيوان أدق من الأرنب، و أطيب في الطعم و أحسن وبرا، و كثيرا ما تلبس فراؤها، ويستعملها أهل الأندلس من المسلمين و النصارى"[2] .

و يفسر عدم تمييز النصارى في الأندلس بلباس خاص يختلف عن زي المسلمين إلى المستوى الرفيع الذي بلغته الحضارة الأندلسية في ذلك العصر، حيث اتسمت بالتعايش و التسامح بين مكونات المجتمع على الرغم من اختلافهم الديني و الثقافي.

هذا في ما يخص الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية للنصارى فعلى الرغم من ضعف المشاركة التجارية للنصارى، إلا أن الحرية في ممارسة هذا النشاط ظلت مكفولة حيث لا توجد قوانين ولا ضوابط تحد من هذا النشاط.

---

[1]- القاضي أبو يوسف، المصدر السابق، ص 127.

[2]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص198.

و أما في المجال الاجتماعي فقد أسهم الزواج المختلط بين المسلمين و النصارى و ظهور فئة المولدين في إثراء الأندلس و رفدها بالكثير من العادات و التقاليد المجتمعية، و أكثر من ذلك فإن السماح للنصارى بالاحتفال بأعيادهم و حتى مشاركتهم في الأفراح كما بينت المصادر يعد أمرا بلغ الأهمية، كما أضفى نوعا من التسامح، و ترك الاعتقاد بإمكانية التفاعل و امتزاج التقاليد بين المسلمين و النصارى.

المبحث الثاني: الحياة الاقتصادية و الاجتماعية لليهود بالأندلس:

شارك اليهود بالأندلس مشاركة فعالة في الحياة الاقتصادية، فقد مارسوا التجارة الداخلية والخارجية التي طبعوها بطابعهم الخاص، و من خلالها راكموا ثروات طائلة أسهمت في اعتلائهم أعلى درجات السلم الاجتماعي و في رفاه مجتمعاتهم و رخائها، و هو ما لم يسبق لهم الوصول إليه وجودهم بالأندلس.

و لم تكن التجارة بمختلف أنواعها هي النشاط الوحيد الذي جلب اهتمام اليهود إليه، بل اشتغلوا في الزراعة و الصناعة و غيرها من النشاطات الأخرى.

و كانت حياة اليهود ثرية على المستوى الاجتماعي فشملت اللباس و الزواج و الأفراح والأعياد الدينية و ما إلى ذلك.

إن انشغال اليهود في هذه الميادين بعد التضييق الذي مارسه عليهم القوط ليعتبر نتاج الانفتاح و التسامح الذي ميزته الحقبة الإسلامية في الأندلس.

1- الحياة الاقتصادية لليهود في الأندلس:

انطبعت الحياة الاقتصادية لليهود بالأندلس بتعدد الأغراض و تنوعها فشملت التجارة و الزراعة و النشاطات الحرفية.

أ- النشاط التجاري لليهود:

اهتم اليهود بالتجارة اهتماما كبيرا باعتبارها وسيلة لتحقيق الربح حيث سيطروا على الميدان التجاري بالأندلس، فالمعلومات وافرة حول اشتغالهم بالتجارة، و يعود سبب غزارتها النسبية بصورة

كبيرة لسجلات الجنيزة في القاهرة،[1] و كانت تجارتهم على نوعين داخلية و خارجية، فالداخلية لم تكن بحجم كبير لأنها بالأساس جاءت لتلبية الحاجة الذاتية، أما التجارة الخارجية فقد تميزت بالشمولية و الاتساع و وصلت بلدانا و مناطق شتى، و ساهمت في ازدهارها عدة ممثليات يهودية في عدة مراكز تجارية.

كانت لليهود في الأندلس محلاتهم التجارية لبيع البضائع المختلفة، اذ يقول ابن حزم:" و لقد كنت يوما بألمرية قاعدا في دكان إسماعيل بن الطبيب الإسرائيلي"[2].

كما يشير دوزي في معرض حديثه عن حياة الوزير إسماعيل بن النغريلة بأنه اشتغل في حانوت عطارة صغيرة افتتحه أولا في قرطبة ثم في مالقة عند ما انتقل إليها بعد استيلاء البربر عليها[3].

سيطر اليهود على الحصة الكبرى من تجارة الأندلس من مطلع العصر الوسيط إلى النصف الثاني من القرن الخامس الهجري(الحادي عشر الميلادي)، حيث تعرض لنا رسائل الجنيزة حركة النقل بين موانئ الأندلس و تلك التي في المغرب و مصر و فلسطين، و تشير كثير من تلك الرسائل إلى تجار مسافرين إلى الأندلس منها، أو تتضمن إشارة مقتضبة إلى واقعة (وصل الأندلسي)[4].

و قد اقتطع اليهود مكانة كبيرة في التجارة الدولية الكبرى لهذه الفترة، فقد كانوا يجلبون إلى الأندلس الخادمات الجميلات و الخصيان و الحرير و أنواع الملابس و الأحجار الكريمة، و قد يصل بهم الأمر إلى العراق أحيانا و حتى الهند و الصين لجلب التوابل إلى الغرب الإسلامي[5].

إن سيطرة اليهود على التجارة في الأندلس و على خطوط التجارة الدولية بين المشرق والمغرب، تدل على استعداد فطري لهذه الخدمة يفسره حب الربح و البحث عنه بشتى الوسائل. كما

[1]- كونستيبل أوليفيا ريمي، المرجع السابق، ص145.

[2]- ابن حزم ، طوق الحمامة، ص 37.

[3]- رينهارتدوزي، المرجع السابق، ج3، ص21.

[4]- كونستيل أوليفيا، المرجع السابق، ص113.

[5]- Dufourcq ; op-cit ; p189 .

أن وجود اليهود في مختلف نواحي العالم القديم على طول المتوسط جعل امتلاكهم لمحطات و مراكز ومخازن التجارةعلى طول الطريق التجاري من المشرق حتى الأندلس أمرا يسيرا.

و يبقى أن قوة الطلب على المواد الرائجة آنذاك و هي أساسا الرقيق و التوابل و النسيج جعل الحركة التجارية في نشاط دائب، كما خلق من اليهود تجار نشطين يأخذون احتياطاتهم بتامين مسار بضاعتهم و السهر على تسليمها لآخر مستهلك.

لقد استفاد اليهود من التجارة إبان حكم الطوائف و مارسوها على خطوط طويلة فتاجروا بالرق و أنواعه[1]، فقد كانت أهم تجارة مارسها اليهود و احتكروها بشكل خاص، إذ كانوا يجلبون إلى الأندلس أعدادا كبيرة من الفتيان و الفتيات من الصقالبة، حيث يكثر عليهم الطلب من أجل الخدمة في الجيوش و القصور و غيرها[2]،كما كان اليهود أنفسهم يستخدمون هؤلاء الأرقاء في بيوتهم[3].

ابتدع التجار اليهود الخصاء لعلاقته بتجارة الرقيق، حيث لم يكن يسمح للرجل بالعمل في مجال خدمة الحريم إلا إذا كان خصيا، و يشير المقدسي إلى دور اليهود في تلك العملية، حيث يقول:" و أما الصقالبة فإنهم يحملون إلى مدينة خلف بجانة أهلها يهود فيخصونهم"[4].

و يؤكد المقري قيام اليهود بذلك و بأن المسلمين أخذوها منهم فيقول:" و تخصيهم للفرنجة يهود ذمتهم الذين بأرضهم، و في ثغر المسلمين المتصل بهم، فيحمل خصيانهم من هناك إلى سائر البلاد، و قد تعلم الخصاء قوم من المسلمين هناك، فصاروا يخصون و يستحلون المثلة"[5].

---

[1] - Dufourcq ; op-cit ; p189 .

[2]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص106.

[3]- ابن سهل، المصدر السابق، ص19-21.

[4]- المقدسي شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد أبي بكر، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، علق عليه و وضع حواشيه محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م، ص194.

[5]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص145.

لم يكن الرقيق السلعة الوحيدة التي تاجر بها اليهود، فقد شاركوا في تجارة بعض السلع والمنتجات المختلفة مثل الحرير و الكتان بين مصر و المراكز التجارية في البحر الأبيض المتوسط[1].

كما تاجر اليهود بالخمور، و يستدل على ذلك من خلال دعوة الفقهاء و المحتسبين إلى منع اليهود من الجلوس عند أبواب دور المسلمين لاتهامهم ببيع الخمر، و ذلك سدا للشبهة[2].

و مما ساهم في تجارة اليهود في ذلك العصر حرية الحركة و التواصل التي ميزت في ذلك العصر عالم البحر الأبيض المتوسط، و ميزت وحدته الثقافية و الاجتماعية و الاقتصادية[3]، و قد ساهموا التجار في ربط الاقتصاد الأندلسي بعالم التجارة الإسلامية حيث ركز أغلب تجار اليهود على نقل البضائع من خلال الموانئ الإسلامية، بينما تاجر قليل منهم مع إسبانيا النصرانية، و نادرا ما غامروا داخل المناطق الأوروبية شمال جبال البيرينيه[4].

إن النجاح الذي حققه يهود الأندلس في العصر الوسيط يعود إلى مجموعة من العوامل المختلفة، من بينها الحضور الشامل و الكلي للطائفة اليهودية في معظم شواطئ البحر الأبيض المتوسط و شبكة اتصالاتهم القوية التي بنوها من خلال الروابط العائلية و الشراكة، ووضعهم غير الحربي و موقفهم اللين تجاه المؤسسات المصرفية[5].

هذا بالإضافة إلى دخول اليهود في شراكة تجارية مع المسلمين و المسيحيين، إذ يشير حاييم الزعفراني إلى وجود شركات تجمع اليهود والمسيحيين والمسلمين، على الرغم من أن بعض الاتجاهات الفقهية الإسلاميةكانت قد منعت هذا النوع من العلاقات أو دعت إلى التقليص منه، وإن كان الواقع اليومي و المصلحة أقوى مما تليه المذاهب[6].

---

[1]- كونستيل أوليفيا، المرجع السابق، ص78.

[2]- ابن عبدون، المصدر السابق، ص 114.

[3]- كونستيل أوليفيا، المرجع السابق، ص151.

[4]- نفسه، ص83.

[5]- نفسه، ص113.

[6]- حاييم الزعفراني، المرجع السابق، ج1، ص38-39.

استطاع اليهود مراكمة أموال طائلة من خلال مشاركتهم في التجارة بعيدة المدى، فقد أشار الإدريسي إلى المستوى المادي المتميز ليهود اليسانة و بأن أهلها هم من الأغنياء المياسير[1]، كما عبر يوسف أشباخ عن امتلاكهم الأموال الوافرة و ذلك في معرض كلامه عن دفعهم مبالغ طائلة من المال في عهد يوسف بن تاشفين من أجل شراء سلامتهم و حريتهم[2].

و يورد دوفورك في هذا المنحى أن نشاط اليهود و نجاحهم في ميدان الأعمال كان وراء إشعاعهم في هذه الفترة، و يضيف أنه في القرن العاشر و الذي يليه شهد ظهور بعض اليهود في مظاهر أبهة نادرة عارضين فيها غناهم، متجاوزين في ذلك الحدود التي سنها الشرع بتواطؤ مع السلطاتالإسلامية[3].

لقد استفاد اليهود من جو التسامح الذي كان سائدا في الأندلس خلال عصر ملوك الطوائف و المرابطين، حيث تمتعوا في إطار عقد الذمة بالكثير من الحقوق كحرية البيع و الشراء و التنقل عبر المناطق المختلفة، كما أن أموالهم و بضائعهم كانت محمية الشيء الذي أسهم في إنجاح تجارتهم.

يعود الفضل في إعطاء يهود الأندلس الحرية الكاملة في ممارسة التجارة إلى المسلمين فلم يعرف عنهم التدخل في نشاطات اليهود، و على العكس من ذلك كان القوط قد وضعوا تشريعات معادية لليهود، فكان ملوك القوط يبحثون عن إمكانية وضع حدود لنشاط التجار اليهود، و من ذلك أن الملك إيخيكا (kingEgika)(68-83هـ/687-702م) قد فرض حضرا اقتصاديا ثقيلا على تجارة اليهود، و وجد اليهود إطارا أفضل للعيش عندما فتح المسلمون الأندلس[4].

[1]- الادريسي، المصدر السابق، ص299.

[2]- يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين، تر: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1996م، ج2، ص239.

[3] -Dufourcq ;op-cit ;p189 .

[4]- كونستيل أوليفيا، المرجع السابق، ص146

و يؤكد جوايتاين بأن اليهود تمتعوا في إطار عقد الذمة بحقوقهم كاملة و ذلك بقوله:"إن القدر الهائل من حرية الحركة الذي تمتع به اليهود، الذي عكست لنا صورته جنيزة القاهرة كان من المستحيل أن يتحقق ما لم يكن لهم وضع قانوني، و ما لم يسمح بذلك مناخ السياسة العامة"[1].

لقد تمكن اليهود في الأندلس بفضل تركيزهم على التجارة أن يطبعوها بطابعهم الخاص، و تم لهم ذلك بمساعدة السلطة الرسمية، التي فتحت المجال واسعا أمامهم للعمل في هذا الميدان، الذي نجحوا فيه و أصبح ميدانهم المفضل، حيث كونوا شركات ذات طبيعة عائلية، كما أقاموا شبكة من العلاقات التجارية على طول المحطات الدولية.

ب- الزراعة عند اليهود في الأندلس:

تعد خصوبة الأراضي الأندلسية من أهم العوامل الإيجابية التي ساهمت في تقدم الزراعةبها، كما أن لوفرة المياه في الأندلس أثر إيجابي حيث خصها الله من الري و السقيا و من مصادر المياه بما لا يوجد في كثير من الأقطار[2]، و قدتحدث مؤلف ذكر بلاد الأندلس عن وفرة المياه بالأندلس حيث يقول:" و بالأندلس أربعون نهرا"[3].

شارك اليهود في النشاط الزراعي في وقت مبكر من وجودهم هناك، فكانوا يمتلكون الأراضي الزراعية قبل الفتح الإسلامي للأندلس، و قد تولوا بأنفسهم زراعة تلك الأراضي، و كان حكم القوط قد استغل اليهود للعمل في إقطاعات نبلاء القوط الذين مارسوا عليهم الكثير من الضغوط قبل الفتح حيث جردوهم من أملاكهم، و فرضوا عليهم العمل كأتباع في المزارع و الحقول التابعة لهم[4].

[1]- جوايتاينس.د دراسات في التاريخ الاسلامي و النظم الإسلامية، تح: عطية القوصي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1980م، ص212-213.

[2]- ابن الخطيب ، أعمال الأعلام، ص4

[3]- مجهول، ذكر بلاد الأندلس،ص 11.

[4] -Ashtor E ; op-cit ; vol 1 ; p266

استمر اليهود على هذه الحال خلال حكم القوط و بعد أن فتح المسلمون الأندلس أصبح اليهود يملكون أراضي زراعية، و يفهم ذلك من خلال التساؤلات التي تم طرحها في هذا المجال، ومنها أن بعض اليهود كانوا لا يمتلكون غير الأراضي الزراعية لتوريثها لأبنائهم[1].

ت- النشاط الحرفي لليهود بالأندلس:

لقد توفرت في الأندلس المواد الأولية و الخامات اللازمة للصناعة، و يشير ابن الأحمر إلى الكثير من الحرف التي مارسها اليهود منذ القدم كخياطة الثياب و الصباغة و الحجامة و الدلالة بالأسواق[2].

كما اهتم اليهود أيضا بالعمل في الصناعات و المهن كصياغة الذهب و الفضة، و يفهم من أحد الأمثال الأندلسية بأن معظم الصاغة بالأندلس كانوا من اليهود فقد عرف عنهم احتكار هذه المهنة، و كان ينظر إلى من عمل بها من المسلمين بالاحتقار[3].

ويشير ابن عبدون إلى عدد من المهن التي لم يكن مقبولا أن يشتغل بها المسلمون، بل اقتصر الاشتغال بها على أهل الذمة من النصارى و اليهود حيث يقول:" يجب أن لا يحك[4] مسلم اليهودي ولا النصراني، و لا يرمي زبله و لا ينقي كنيفه، فاليهودي و النصراني كانوا أولى بهذه الصنع لأنها صنع الأرذلين، لا يخدم مسلم دابة يهودي و لا نصراني، و لا يستزمل به، و لا يضبط بركابه، و إن عرف هذا أنكر فاعله"[5].

وبالإضافة إلى ما سبق عمل اليهود في مجال الصباغة و الدباغة، فكان في سرقسطة عدد كبير من اليهود عرفوا كصباغين و دباغين[6] .

---

[1]-Ashtor E ; op-cit ; vol 1 ; p26.

[2]- ابن الأحمر، المصدر السابق، ص24.

[3]- الزجالي، المصدر السابق، ق1، ص216.

[4]- الحك: إمرار جرم على جرم صكا، حك الشيء بيده و غيرها يحكه حكا، ابن منظور، المصدر السابق، ج10، ص412.

[5]- ابن عبدون، المصدر السابق، ص48.

[6] -Ashtor ;E ; op-cit ; vol 1 ;p274.

عمل اليهود أيضا في مجال الطب لما له من أهمية في الأندلس، فقد احترفها العديد منهم حتى بلغوا بها المراتب العليا و المتقدمة في بلاطات الأندلس.

لقد ارتقى اليهود أيضا بالأساليب العلمية في العلاج و كشف الأمراض و وصف الدواء وتحضير الأدوية اعتمادا على المؤلفات القديمة اليونانية و الرومانية، التي أفادوا منها في مجال التطبيب بالأندلس.

في هذا الصدد ذكر دوفورك أن اليهود تميزوا ما بين القرن الثامن و القرن الثاني عشر بمهنة الطب، و أن المسلمين كانوا يثقون في الطب الإسرائيلي[1].

وكان لليهود صيت ذائعفي هذا لميدان، و قد برز منهم رجال كثر نذكر منهم:

الطبيب إسحاق بن قسطار: تحدث عنه ابن أبي أصبيعة بقوله" يهودي خدم مجاهد العامري وابنه إقبال الدولة عليا، كان بصيرا توفي بطليطلة 448هـ و عمره 75 عاما"[2].

أبو الوليد مروان بن جناح: و قد اشتغل بالطب في الأندلس، حيث ألف كتابا مختصرا عن العقاقير و الموازين و الأكيال[3].

ابن بكلارش: يعد من أكابر علماء الأندلس بالطب، و له خبرة في الأدوية، اشتغل في بلاط بني هود، و قد ألف بألمرية للمستعين بن هود كتاب المجدولة في الأدوية المفردة[4]، و يذكر بالنثيا بأنه أورد في ذلك الكتاب أسماء الأدوية بلغات شتى: السريانية و الفرسية و اليونانية و العربية واللاتينية(عجمية أهل الأندلس)[5].

---

[1]- Dufourcq ; op-cit ; p187.

[2]- ابن أبي أصبيعة، أبو العباس أحمد بن القاسم، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965، ص498.

[3]- بالنثياآنخلجنثالث، المرجع السابق، ص469.

[4]- ابن أبي أصبيعة، المصدر السابق، ص 501.

[5]- بالنثياآنخلجنثالث، المرجع نفسه، ص469.

أبو الحسن مير بن قمنيل: هو طبيب من اشبيلية، أخذ الطب من علماء المسلمين و اليهود، و قد اشتهر بعمله كطبيب لعلي بن يوسف بن تاشفين الذي استدعاه إلى مراكش[1].

2- الحياة الاجتماعية لليهود في الأندلس:

إن المعلومات حول هذا الجانب من حياة اليهود تبقى ضئيلة، و ربما يعود السبب إلى طبيعة اليهود الانعزالية، فقد كانوا يلجؤون إلى العيش و الإقامة في تجمعات أو أحياء خاصة بهم، على الرغم من قيام بعضهم بالسكن بين المسلمين في أحيائهم، إذ لا يوجد ما يمنع ذلك من الناحية الشرعية لدى المسلمين.

أ- اللباس عند اليهود:

تم إقرار في إطار عقد الذمة على لباس معين، فقد فرض عليهم تغيير هيئاتهم بلبس الغيار و شد الزنار، إذ نجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى الأمصار أن تجز نواصيهم، و ألا يلبسوا لبسة المسلمين حتى يعرفوا[2].

و في ذات الموضوع يقول الطرطوشي:" و يلزمهم أن يتميزوا عن المسلمين في اللباس فان لبسوا قلانس ميزوها عن قلانس المسلمين بالخرق، و يشدون الزنانير في أوساطهم، و يكون في رقابهم خاتم من رصاص أو نحاس، أو جرس يدخل معهم الحمام، و ليس لهم أن يلبسوا العمائم.

و أما المرأة فتشد الزنار تحت الإزار، و قيل: فوق الإزار، و هو الأولى، و يكون في عنقها خاتم يدخل معها إلى الحمام، و يكون أحد خفيها أسود و الآخر أبيض، و لا يركبون الخيل، ويركبون البغال و الحمير بالأكف عرضا، ولا يركبون بالسروج، و لا يتصدرون في المجالس، و لا يبدؤون بالسلام، و يلجئون إلى أضيق الطرق"[3].

---

[1]- دندش عصمت عبد اللطيف، المرجع السابق، ص117.

[2]- ابن القيم الجوزية، المصدر السابق، ق2، ص735.

[3]- الطرطوشي أبو بكر محمد بن الوليد الفهري، سراج الملوك، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، ج2، 1414هـ/1994م، ص547.

إن القاعدة في الشريعة الإسلامية تنص بأنه ينبغي على المسلم أن يتشبه بالمسلم في زيه فيعرف أنه مسلم، وأن على الكافر أن يتشبه بالكافر فيعرف أنه كافر، و لذلك يجب على الكافر أن يتشبه بقومه ليعرفه المسلمون[1].

و في هذا الصدد يذكر دوفورك بأن قواعد محددة كانت مطبقة في ميدان الملابس و العلامات المميزة، فكل يهودي ملزم بوضع خرقة قماش صفراء على رأسه ورقبته أو على العموم لثام أو قماش بهذا اللون، و كذلك زنانير خاصة عريضة توضع على الحزام [2].

لا توجد إشارات في المصادر التاريخية الإسلامية تدل على إلزام اليهود بالأندلس في هذه المرحلة الزمنية من وجودهم في الأندلس بلباس معين، و من المفيد إثبات نص يعود إلى عصر ملوك الطوائف أورده ابن بسام عن قدوم الوزير اليهودي يوسف ابن النغريلة إلى قرطبة بصحبة الأمير باديس بن بلقين صاحب غرناطة، و يبدو فيها بكامل حلته بحيث لا يمكن التمييز بينه و الأمير باديس، إذ يقول." اخبرني من رآه يساير صاحبه بساحة قرطبة في بعض قدماته عليه لبعض تلك الشؤون المضلة و الفتن المصمئلة قال المحدث:" فرأيته مع باديس فلم أفرق بين الرئيس و المرؤوس، فأنشدت: تشابهت المناكب و الرؤوس"[3].

و يبدو أن الفقيه أبو بكر بن العربي قد ضرب مثلا بيهود بغداد الذين رآهم ملزمين بلباس زي معين، إذ لو كان اليهود في الأندلس ملزمون بلباس معين لما كان هذا الفقيه الذي عاش في الأندلس خلال عصر المرابطين يصرف النظر عن بلده الأندلس و يستشهد بمثال عن يهود بغداد.

كما ذكر الونشريسي أيضا بأنه "سئل بعضهم عن يهودي تشبه بزي المسلمين و أسقط حليته التي يعرف بها ؟ فأجاب: بأنه يعاقب بالسجن والضرب، فيطاف به في مواضع اليهود والنصارى ردعا لأمثاله و تشريدا لهم بسببماحل به"[4]

[1]- ابن القيم الجوزية، المصدر السابق، ق2، ص 736.

[2] - Dufourcq ; op-cit ; p184 .

[3]- ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ج1، ص479.

[4]- الونشريسي، المصدر السابق، ج6، ص 69.

ويمكن أن نستدل بمطالبة الفقهاء الذين تولوا شؤون الحسبة بتمييز اليهود بلباس خاص بأن السلطة الإسلامية لم تلزم رعاياها بالغيار، على الرغم ممن دعوة الفقهاء لتمييزهم من أجل أن تصبح لهم علامات خاصة تنذر المسلمين، فقد أشار ابن عبدون إلا أنه يجب أن لا يترك اليهود يلبسون كما يلبس المسلمون[1].

لقد كان اليهود في الأندلس يلبسون الطيلسان مثلا كما يفعل المسلمون، وقد أشار ابن سعيد إلى ذلك بقوله:" ولا تجد في خواص الأندلس و أكثر عوامهممن يمشي دون طيلسان، إلا أنه لا يضعه على رأسه منهم إلا الأشياخ المعظمون"[2].

و يبدو أن التسامح و التساهل مع أهل الذمة بصورة عامة قد انسحب على الكثير من القيود التي كان من المفروض أن تطبق عليهم، و لكن أصحاب السلطة فضلوا إبطال مفعول الكثير من الأحكام الشرعية التي أقرت في إطار عقد الذمة بهدف تحقيق التعايش و التسامح بين مختلف عناصر المجتمع الأندلسي، و تلك خاصية نلمسها بوضوح في الأندلس في حين أن بلدانا أخرى لم تسمح فيها السلطات الإسلامية للرعايا من أهل الذمة باتخاذ ملابس المسلمين من دون فرض قيود أو إشارات خاصة تميز هذه الفئة عن غيرها من مكونات المجتمع كما حدث في بغداد و غيرها.

كما شهدت الأندلس فرض قيود على اليهود أيام الحكم الموحدي فقد ألزم السلطان أبو يوسف يعقوب رعاياه من اليهود"بلباس يختصون به دون غيرهم، و ذلك ثياب كحيلة و أكمام مفرطة السعة تصل إلى قريب من أقدامهم، و بدلا من العمائم كلوتات على أشنع صورة كأنها البراديع تبلغ إلى تحت آذانهم، فشاع هذا الزي في جميع يهود المغرب، و لم يزالوا كذلك بقية أيامه وصدرا من أيام ابنه أبي عبد الله إلى أن غيره أبو عبد الله المذكور، بعد أن توسلوا إليه بكل وسيلة،

[1]- ابن عبدون، المصدر السابق، ص51.

[2]- ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى الغرناطي، المغرب في حلى المغرب، وضع حواشيه حليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج1،1417ه/1997م، ص223.

واستشفعوا بكل من يظنون أن شفاعته تنفعهم، فأمرهم أبو عبد الله بلبس ثياب صفر و عمائم صفر"[1].

ب- **المرأة و الزواج عند اليهود:**

تنظر الشريعة اليهودية إلى المرأة نظرة متشددة، إذ تقتصر مهمة المرأة عند اليهود على الإنجاب وتأدية مهام البيت و تربية الأطفال.

إذ هذا التشدد تجاه المرأة ربما يكون سببا في غياب الحديث عنها في المصادر التاريخية، إذ لا توجد عنها سوى إشارات طفيفة.

ومن هذه الإشارات ما أورده المقري عن الشاعرة قسمونة بنت إسماعيل اليهودي التي يدل تمكنها من الشعر العربي على وجود نساء يهوديات في الأندلس، قد أخذن بنصيب وافر من التعليم، و تدل المعاني التي عبرت عنها في شعرها على بعض صفات المرأة اليهودية في الأندلس، فهي محافظة و ترغب في الارتباط برجل، و لكن عن طريق الزواج الشرعي، كما أن زواجها لا يتم إلا بإذن وليها الذي هو والدها إن كان حيا، كما أنها لا تصرح إلى أهلها برغبتها في الزواج، بالرغم من رغبتها فيه وحاجتها إليه.

ومن المفيد هنا إثبات نص تحدث فيه عن الشاعرة قسمونة اليهودية بقوله:" و كانت بالأندلس شاعرة من اليهود يقال لها قسمونة بنت إسماعيل اليهودي، و كان أبوها شاعرا، و اعتنى بتأديبها، وربما صنع من الموشحة قسما فأتمتها هي بقسم آخر، و قال لها أبوها يوما: أجيزي:

لِي صَاحِبٌ ذُو مُهْجَةٍ قَلْبةَ لْتُ نْعَمى بِظُلْمٍ وَاسْتَحلَتْ جُرْمَهاَ

ففكرت غير كثير و قالت:

كالشمسُ منها البدُر يقتبُسنورهُ أبدا و يكسفُ بعد ذلك جرمَها

فقام كالمختبل و ضمها إليه، وجعل يقبل رأسها، و يقول: أنت و الشعر كلمات أشعر مني. و نظرت في المرآة فرأت جمالها، و قد بلغت أوان التزويج، ولم تتزوج، فقالت:

[1]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص383.

أرى روضةً قد حانَ قطافها و لستُ أرى جانٍ يمُد لها يدا
فوا أَسفي يمضي الشبابُ مضيعا و يَبقَى الذي ما إن أسميهِ مفردا

فسمعها أبوها، فنظر في تزويجها.

و قالت في ظبية عندها:

يا ظبيةً ترعى بـروضٍ دائـمـا إني حكيتكِ في التوحشِ و الحورِ
أمسى كلانا مفرداً عن صاحبٍ فلنصطبر أبدا على حكمِ القدرِ [1].

و الظاهر أن اختلاط يهود الأندلس بالمسلمين، و رؤيتهم لمكانة المرأة و حقوقها في الشريعة الإسلامية و في المجتمع الإسلامي، قد أثر على عقلية يهود الأندلس و دفعهم للتحرر من بعض قيود شريعتهم المهينة للمرأة و البحث عن مخرج لهم من تلك القيود، فالشريعة اليهودية و أحبارها يمنعون المرأة من التعلم في المدارس، لكننا نجد أن أبا قسمونة قد اهتم بتعليم ابنته بنفسه حتى أصبحت شاعرة مقتدرة.

أما بالنسبة للزواج عند اليهود فقد نصت شريعتهم على أن الزواج فرض من الفروض على كل يهودي يستوي في ذلك الصغار و الكبار و الفقراء و الأغنياء و العلماء و الجهال لأنه يجب عليهم المشاركة في استبقاء النسل، و مع ذلك فقد وجد من اليهود من عزف عن الزواج، مثل اليهودي الأندلسي إسحاق بن قسطار المتوفى بطليطلة سنة 488هـ/1056م، الذي" لم يتخذ قط فيها امرأة"[2].

وكان اليهود البلديين يعتمدون في تشريعاتهم الخاصة بالأسرة و الزواج مصادر تلمودية قديمة يكملها و يعدلها العرف. و يعقد اليهود زيجاتهم مقابل صداق، و هذا الاسم عندهم يطلق على المقدار المالي أو العيني الذي يقدمه الخطيب لخطيبته[3]، وكان اليهود يتقدمون لاختيار الزوجة في وقت

[1]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص530.

[2]- صاعد أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي، طبقات الأمم، تح: حياةبوعلوان، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، ط1،1985، ص205.

[3]- حاييم الزعفراني، المرجع السابق، ج1، ص277.

مبكر، إذ يجب على الشاب أن يختار قرينته في سن الثامنة عشرة، كما أن عليه أيضا أن لا يجري وراء الجمال أو الثراء، و إنما عليه أن يختار ذات الفضيلة[1].

و يجوز عند اليهود الزواج من بنت الأخ و بنت الأخت، بينما لا يجوز للمرأة أن تتزوج من ابن أخيها أو ابن أختها و حرم كثير من فقهائهم زواج بنت الأخ[2].

كما يجوز عند اليهود أيضا تعدد الزوجات من دون وضع حد للعدد، و كان التعدد عندهم يمثل نوعا من الحفاظ على العفاف و الأخلاق، فقد عرف عن رجالهم الزواج بأكثر من امرأة، ويستدل على ذلك بسؤال وجه إلى الحبر موسى بن حنوخ في قرطبة حول يهودي يدعى يعقوب تزوج من امرأتين هما ليا و راحيل[3].

يحرم الزواج من اليهود و غيرهم، لأن غير اليهود يعتبرون كفارا في كتب الشريعة، يستوي في ذلك المسلمون و النصارى و الوثنيون، و لهذا ينظر اليهود إلى الزواج المعقود بين يهودي و كافرة أو العكس باطل، و يعتبرون ذلك نوعا من الزنا و الفجور[4].

ت- الأعياد عند اليهود: لكل طائفة دينية أعياد و مواسم تحتفل بها كذكرى لتاريخ معين في حياتها، واليهود كغيرهم من أصحاب الديانات لهم مواسم و أعياد، ويؤدون طقوسا معينة للاحتفال.

و يمكن أن نذكر في هذا الصدد أهم الأعياد و أقدسها لدى اليهود:

- عيد الفطير:

إن أخبار احتفال اليهود بأعيادهم تكاد تكون معدومة في المصادر التاريخية، وقد حفظت لنا كتب النوازل الفقهية بعض الإشارات حول قيام اليهود بتقديم بعض الهدايا للمسلمين خلال فترة أعيادهم و بخاصة عيد الفطير، حيث يقومون بصنع الرغائف ويهدونها لبعض جيرانهم من المسلمين[5]

---

[1]- نفسه، ص117.

[2]- حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي وأطواره، معهد البحوث و الدراسات العربية، القاهرة، 1971، ص232-233.

[3]-vol 1 ; p 268 .Ashtor e ; op-cit ;

[4]- حسن ظاظا، المرجع السابق، ص 231-232.

[5]- الونشريسي، المصدر السابق، ج11، ص 111.

وعيد الفطير هو الذي يسمى عند اليهود بعيد الفصح، و يحتفل به ابتداء من اليوم الخامس من شهر نيسان اليهودي، و يدوم سبعة أيام، و في هذا اليوم يأكل اليهود الفطير[1].

وتوجب طقوس هذا العيد على اليهود أن يأكلوا الخبز من عجين فطري، لا يدخله الملح ولا الخميرة تذكيرا بأنهم عند فرارهم مع موسى منوجه فرعون لم يكن لديهم الوقت ولا الفراغ للتأنق في الخبز و انتظار العجين حتى يخمر.[2]

- **يوم السبت:** وهو (شباث) في العبرانية بمعنى راحة لأنه يوم يزعمون أن الله استراح فيه، وأمر عباده بالاستراحة فيه و باركه، وقد جعلوا أهم شعائره الكف عن العمل[3].

و ليوم السبت قداسة خاصة عند اليهود حيث يقع في اليوم السابع حسب ترتيبهم الخاص لأيام الأسبوع، و يحتفلون به أسبوعيا على مدار العام إحياء لذكرى اليوم السابع، حيث أتم الله تبارك و تعالى خل العالم في ستة أيام، ثم استراح في اليوم السابع وفا لما ورد في المقرا[4] [5].

لقد أعطى اليهود رمزية خاصة لأعيادهم و منها يوم السبت فهو عيدهم الأسبوعي فيقدسونه لاعتقادهم أن الله استراح فيه بعد خلق العالم، حيث يبدأون الاحتفال من غروب شمس يوم الجمعة حتى غروب يوم السبت [6].

كان اليهود في الأندلس يحيون أعيادهم، و يؤدون جميع طقوسها على طريقتهم الخاصة، حيث يقيمون تلك الطقوس داخل البيوت و المعابد، و يصحبون أولادهم إلى المعابد، و يجتمعون على موائد الطعام داخل بيوتهم، و على الولائم في بعض بيوت أثريائهم[7] .

---

[1]- كواتي مسعود، المرجع السابق، ص137.

[2]- حسن ظاظا، المرجع نفسه، ص219.

[3]- الخلف سعود بن عبد العزيز، دراسات في الأديان اليهودية و النصرانية، دار أضواء السلف للنشر و التوزيع، الرياض، ط5، 1427هـ/2006م، ص137.

[4]- المقرا أو المقرأ: التوراة، الخلف سعود بن عبد العزيز، المرجع السابق، ص145.

[5]- الهواري محمد، السبت و الجمعة في اليهودية و الإسلام، دار الهاني للطباعة و النشر، القاهرة، ط1، 1408هـ/1988م، ص6.

[6]- نفسه، ص9.

[7] -Ashtor e ; op-cit ; vol 3 ; p148-152.

و قد ارتبط الاحتفال بيوم السبت بالكثير من التقاليد عند اليهود، حيث يكفون عن العمل فيه، كما حرموا أنفسهم من السفر فيه، كما حرموا في هذا اليوم أيضا الكتابة لأنها في عرفهم تكون لإبرام العقود و عقد الاتفاقات و نحوها، و بموجب ذلك حرموا عقد الزواج يوم السبت لاحتياج ذلك إلى الكتابة[1] .

- **رأس السنة العبرية:**

وتستغرق طقوسه ثلاثة أيام، منها اليوم الأول و الثاني من شهر أكتوبر، ثم يستمر الاحتفال في اليوم الثالث، أما اليوم الرابع فهو يوم صيام و مناسبته ذكر قتل جدليا بن أحيقام الذي ولاه بختنصر ملك بابل على البقية الباقية من اليهود في فلسطين بعد الاستيلاء عليها، و تقول القصة إن أعداء اليهود دبروا مؤامرة لقتل جدليا في هذا اليوم حتى يتمكنوا من إتمام إبادة هذه البقية الباقية معه من بني إسرائيل[2] .

لقد كانت الحياة الاقتصادية و الاجتماعية لليهود نشطة و مميزة، تمثلت في حركتهم التجارية و سيطرتهم على الأسواق و المتاجر و البضاعة في الأندلس من جهة و كذلك لتواجد التجار اليهود بشكل مكثف على مسالك التجارة الدولية، كما أوردنا انشغال هذه الطائفة بالزراعة في الأندلس و سيطرتهم على أراضي زراعية شاسعة استغلوها لأنفسهم، تحولت بعد الفتح الإسلامي إلى إقطاعات إسلامية بقوا فيها لأغراض الزراعة و الإنتاج الزراعي.

كما أن اليهود برعوا في الصناعة و الفنون، فانخرطوا في إنتاج القماش و الدباغة و الصباغة، و برعوا في الطب حتى أنهم سيطروا على هذا الميدان باعترافات الكتاب الأندلسيين أنفسهم .

[1]- حسن ظاظا، المرجع السابق، ص200-201.

[2]- نفسه، ص201-202.

الخاتمة

تعتبر دراسة أوضاع الكنائس و نظمها في البلاد الإسلامية في الأندلس و تاريخ النصارى واليهود من الدراسات المهمة في تاريخ الأقليات من غير المسلمين في الدولة الإسلامية. فقد ألقينا الضوء على أوضاع هذه المجموعات الإدارية و الاقتصادية و الاجتماعية و الدينية وعلاقتهم بالمسلمين في الأندلس و كيف كانت نظرة السلطات الإسلامية إليهم باعتبارهم رعايا تابعين لها وفق إطار عقد الذمة.

و توصلنا في بحثنا إلى مجموعة من نتائج نلخصها في النقاط التالية:

- احترام الإسلام للمخالفين من غير المسلمين، و ذلك بضمان كرامتهم و حقوقهم التي كفلها الإسلام في إطار عقد الذمة.

- معاملة المسلمين لرعاياهم من النصارى و اليهود معاملة حسنة قائمة على العدل و التسامح فضمنوا لهم تنظيماتهم الدينية و الإدارية، و إقامة شعائرهم في أماكن العبادة المحفوظة لديهم، حيث لم يتعرضوا لها إلا في أوقات استثنائية عقابا لهم.

- السماح لهم بإقامة أعيادهم الرسمية و مناسباتهم الدينية من دون مضايقات، و تقبل المسلمين لذلك بمشاركتهم إياهم تلك الأفراح و حضور احتفالاتهم.

- مساهمتهم في النشاط الاقتصادي بالأندلس من خلال المشاركة في التجارة، و قد أبدع اليهود بصفة خاصة في تطوير حركة التجارة الخارجية بين الأندلس و البلدان الأخرى.

- الاتصال بهم و إقامة العلاقات الاجتماعية معهم، فقد تزوج المسلمون من نصرانيات فظهرت تأثيرات اجتماعية متبادلة بين الطرفين بسبب المصاهرات.

- ترك المسلمون لرعاياهم من النصارى حرية اللباس فلم يرغموهم على لبس زي خاص بهم وتبقى موضوع التمييز بين المسلمين و النصارى و اليهود أمرا نظريا لم يصل حد التطبيق إذا لم يلتزم بها النصارى و اليهود في الأندلس.

- كما تركوا لهم حرية الاحتفال بأعيادهم التي بقيت تقام في جو من الفرح و الأبهة باعتبارهم جزء من المجتمع.

- أدى الاختلاط و الاحتكاك بين المسلمين و رعاياهم من النصارى و اليهود إلى انتقال المؤثرات بينهم، و كان أهمها انتشار اللغة العربية بين النصارى و اليهود إلى درجة أن أصبحوا يؤلفون بها الأشعار و الكتب، و في المقابل تأثر المسلمون باللغة اللاتينية.

- السماح لهم بالتقاضي إلى أهل ملتهم من خلال قضاتهم و محاكمهم الخاصة التي لها الحق وحدها في الفصل في منازعاتهم.

- أثرت الثقافة الإسلامية تأثيرا كبيرا في ثقافة اليهود بشكل خاص فغيرت الكثير في تعليمهم وأدبهم و لغتهم و علومهم الدينية.

- حرص العرب المسلمون أن تكون علاقاتهم مع السكان الأصليين في الأندلس جيدة و قوية وذلك لأن موقف المسلمون عندما نزلوا بلاد الأندلس لم يقصدوا أن يعيشوا سادة مترفين و إنما استقروا مع أهل البلاد و عاشوا في سلام دون أن يتدخلوا في حياتهم و طريقة معيشتهم أو أن يغيروا في دينهم.

- لم تكن المعاملة الحسنة التي عوملبها اليهود أثناء الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس يعد مكافأة لهم على ما قدموه للمسلمين كما يتصور البعض كما أنها ليست دليلا على وجود اتفاق مسبق فيها يقضي بحسن معاملتهم مقابل الخدمات التي قدموها فيها للمسلمين لأن المسلمين قدموا المعاملة نفسها للنصارى و أحسنوا إليهم و هذا الإحسان هو الذي جذبهم إلى الإسلام و جعلهم يدخلون في دين الله أفواجا و قد انطلق المسلمون في معاملتهم لسكان البلاد الأصليين من مبادئ الشريعة الإسلامية السمحاء .

الملاحق

الملحق رقم :01

باب في أحكام أهل الذمة

اعلم أنه لا يلزمنا أن نتعرض لأهل الذمة فيما بينهم من الحقوق و المطالب، إلا إذا كانت من التظالم و مما لا تجيزه شريعة، كالغصب و التعدي و نحوهما مما هو ظلم من أحدهم للأخر لا يسوغ لنا حينئذ تركهم عليه بل يجب على الأمام رفعه و الحكم بينم فيه و يتسلط عليهم في تغييره و ينقر عن صورته كيف وقع فيغيره و يزيله أحبوا أم كرهوا رضوا أم سخطوا، و أما غير المظالم مثل نوازل الأحكام و الدعاوي التي هي مجرد دعاويهم و طلب لما يحل و ما لا يحل و نحو ذلك فليس لنا أن نتعرض لهم إلا إذا ترافعوا إلينا و تراضوا على حكمنا هم و أحبارهم عند ابن القاسم و الإمام مخير أن يحكم بينهم أو يعرض عنهم و يتركهم إلى دينهم و هو المستحب عند مالك رحمه الله، فإذا أراد السلطان أن ينظر في قضيتهم و يحكم فيما، صح ذلك و حَكم فيهم بحكم الإسلام في المسلمين .

قال الله تعالى مخاطبا لرسوله صلى الله عليه و سلم (فإن جاءوكم فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين) و الصحيح أن رضا الأحبار لا يشترط و الذي تقل ابن العربي أن الذي يخير فيه الأمام في الحكم بينهم و الإعراض عنهم إنما هو في التظالم و هو خلاف ما نقلناه أولا و ما نقلناه هو ظاهر المذهب بل نقل بعضهم فيه الإجماع و الله أعلم. فإذا حكمونا في قضاياهم و حكمنا بينهم بحكم ملة الإسلام لزمهم ذلك الحكم و ليس لهم إلّا الرضا به فإن لم يرضوا به و لا بالإسلام فقد انتفض عهدهم و أّما ما بينهم و بين المسلمين فلا خلاف أن الحكم في ذلك إنما هو بحكم الإسلام وإن لم يرضي الكافر بالترافع إلينا معه و الله أعلم و الموفق للصواب و فضله.

أنظر : لقبال موسى، الحسبة المذهبية الحياة اليومية لمجتمع المدينة الإسلامية من خلال نشأة و تطور نظام الحسبة، الجزائر، دار هومة، 2002م، ص140.

الملحق رقم:02

معاملة بعض الفقهاء لأهل الذمة

و مما شنع عليه أعداؤه أنه نزل بتلمسان (أبو عبد الله بن مروان التلمساني) في دار يهودي، فاحتفل في إكرامه و أحضر له جميع ما قدر عليه، فخلا به و ذاكره في دينه، ثم داعبه حتى أحضر له من طاهورتهم، فيقال أن قال: يا إسرائيلي، دياركم نظيفة، و طعامكم طيب، و شرابكم رائق، ما أضنكم إلا على الحق.

قال ابن سعيد أبي المحاسن (685هـ) صاحب كتاب الغصون اليانعة، عن والده حول هذه القصة ما تكاد تجد فقيها من طلبة الغرب إلا و هو يحفظ هذه الحكاية و قد سارت بها الرُّكبان .

أنظر: أبو المحاسن ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب، تح: حسين نصار، الجمهورية العربية المتحدة، مطبعة دار الكتاب، 1970م، ص33.

الملحق رقم:03

نص يعود لعصر المرابطين للاستدلال به بعدم إلزام اليهود بالأندلس بلباس معين يميزهم عن المسلمين

قد وجه سؤال للفقيه الأندلسي أبو بكر بن العربي " حول رجل يهودي و هو الحكيم ابن قبنال يتعمم و يتختم و يركب السروج على فاره الدواب، و يقعد في حانوته من غير غيار و لا زنار، و يمشي كذلك في الأسواق بغير غيار يعرف به، بل بأفضل زي كبار المسلمين و أحسنه، فبين لنا بطولك كيف الواجب عليهم من التزام حكم الذمة؟ و هل كانوا علىمثل هذا الحال في زمن الصحابة و التابعين و مدد ملوك المسلمين؟ أو هل منعوا من مثل هذا الزي و ألزموا بمثل ما يعرفون به من المسلمين؟".

و في إجابته لهم استشهد بمارآه في بغداد من إلزام اليهود بها بلبس زي معين و ذلك بقوله: " فالواجب على حكام المسلمين أن يلزمهم التميز عن المسلمين في اللباس، و أن يمنعهم من فاخر الثياب و من لون الأصفر، و يلزمهم الغيار و يقلدهم دنانير النحاس أو الرصاص أو القزدير في رقابهم، و يدخلون بها إلى الحمام، و إن لبسوا قلانس فتكون لطافا مقاربة، و يكون في وسطها أو في أعلاها رقاع من لبود حمر أو خرق حمر تخالف ألوان القلانس ليعرفوا بها، و يشدون الزنانير على أوساطهم، و يكون أحد خفي نسائهم أسود و الأخر أبيض أو أحمر، و قد رأيت هذا كله و شاهدته بدار الإسلام وحضرة الخلافة ببغداد حرسها الله"

أنظر: ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ج1، ص 479.

قائمة المصادر والمراجع

القسم الأول: مصادر البحث

أولا: القرآن الكريم.

ثانيا: المصادر:

1-ابن الآبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي(ت 658هـ/1260م)، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، ج1، 1985م.

2- ابن الأثير عز الدين أبي الحسن علي الجزري ، اللباب في تهذيب الأنساب،دارصادر، ج 2، بيروت، 1980م.

3- ابن الأحمر إسماعيل (ت807هـ/1405م)، بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط، 1972م.

4- ابن أبي زرع علي بن عبد الله الفاسي (ت726هـ/1325م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس، دار المنصور للوراقة و الطباعة، الرباط، 1972م.

5- ابن أبي أصبيعة أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يوسف السعدي (ت668هـ/1269م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965م.

6- الإدريسي الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت558هـ/1161م)، القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.

7- الإدريسي الشريف، صفة المغرب وارض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ،1969م.

8- ابن بسام أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت542هم1148م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق سالم مصطفى البدرين دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ/1998م.

9- ابن بلقين عبد الله بن بلقين بن باديس (ت بعد 488هـ/1095م)، كتاب التبيان، تحقيق أمين توفيق الطيبي، منشورات عكاظ، الرباط، 1995م.

10- ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي (ت 852هـ)، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تعليق عبد الرحمن بن ناصر البراك، دار طيبة، الرياض، ط1، ج7، 1426هـ/2005م.

11- ابن حيان بن أبو مروان حيان بن خلف القرطبي(ت469هـ/1076م)، المقتبس من أبناء أهل الأندلس، تحقيق شالميتا، مدريد،1979م.

12- ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن حزم القرطبي الأندلسي (ت456هـ/1063م)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة،1382هـ/1962م.

13- ابن حزم، طوق الحمامة في الألفة و الآلاف، قدم له و ضبطه و شرحه و وضع فهارسه صلاح الدين الهواري، منشورات دار و مكتبة الهلال، بيروت، 2000م.

14- ابن عبد الحكم عبد الرحمان بن عبد الله (ت 257هـ)، فتوح إفريقية ومصر، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1964م.

15- ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله بن يوسف بن نصي الأزدي (ت 403هـ/1012م)، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب المصري، القاهرة،ج1، 1983م.

16- الحميري محمد بن عبد المنعم (ت 726هـ/1326م)، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، نشره ليفي بروفنسال، القاهرة، 1937م.

17- الحموي ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت 626هـ/1228م)، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، د.ت.

18- الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر ،كتاب الحيوان، تحقيق فوزي عطوي،دار صعب،ط1،ج1، 1968م.

19- ابن حوقل أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل النصيبي (ت 380هـ/990م)، كتاب صورة الأرض، دار الحياة، بيروت، د.ت.

20- ابن خاقان أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان القيسي (ت 529هـ/1135م)، مطمح الأنفس و مسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، دراسة و تحقيق محمد علي شوابكة، دار عمار، مؤسسة الرسالة، بيروت ،ط1، 11403هـ/1983م.

21- ابن الخطيب لسان الدين بن محمد السلماني (ت 776هـ/1374م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق يوسف طويل و مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 2003م.

22- ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا الإسلامية أو أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق و تعليق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، ط2، 1956م.

23- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ/1406م)، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط و مراجعة خليل شحادة و سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1421هـ/2000م.

24- ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد (ت520هـ/1126م)، فتاوي ابن رشد، تقديم و تحقيق المختار الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1407هـ/1987م.

25- ابن رشد الحفيد بن أبي الوليد محمد بن أحمد، شرح بداية المجتهد و نهاية المقتصد، مج 2، شرح و تعليق العبادي، مطبعة دار السلام، القاهرة، ط1، 1416هـ/1995م.

26- الزجالي أبو يحي عبد الله بن أحمد القرطبي (ت 694هـ/1294م)، أمثال العوام في الأندلس، تحقيق و شرح و مقارنة محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية و التعليم الأصلي، الرباط، د.ت.

27- ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد الغرناطي (ت 683هـ/1284م)، المغرب في حلى المغرب، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1417هـ/1997م.

28- ابن سهل أبي الأصبغ عيسى بن سهل (توفي بغرناطة سنة 486هـ/1093م)، وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل، دراسة و تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف، مراجعة و تقديم محمود علي مكي و مصطفى كامل إسماعيل، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، 1980م.

29- صاعد أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي (ت 462هـ/1069م)، طبقات الأمم، تحقيق حياة بوعلوان، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت،ط1، 1985م.

30- الظبي أبو جعفر أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة (ت 559هـ/1202م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م.

31- الطرطوشي أبو بكر محمد بن الوليد الفهري (ت 530هـ/1135م)، الحوادث و البدع، إشراف لجنة التحقيق بدار الفتح، الشارقة، 1415هـ/1995م.

32- الطرطوشي، سراج الملوك، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1414هـ/1994م.

33- الشهرستاني أبي الفتح محمد بن عبد الكريم (ت 548هـ)، الملل و النحل، تحقيق أمير علي مهنا، حسن فاعور،دار المعرفة، بيروت، ط3،ج1، 1414هـ/1993م.

34- ابن عبدون محمد بن أحمد بن عبدون التيجيبي (توفي في النصف الأول من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي)، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة و المحتسب، نشرها ليفي بروفنسال، مطبعة البحث العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م.

35- أبي عبيد القاسم (ت 224هـ)، كتاب الأموال، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، بيروت،ط1، 1409هـ/1989م.

36- ابن عذاري أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي (كان حيا سنة 712هـ/1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تحقيق و مراجعة ليفيبروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1400هـ/1980م.

37- القلقشندي أبي العباس أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، مطبعة دار الكتب المصرية، ج5، 1340هـ/1922م.

38- القاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم، كتاب الخراج، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

39- ابن القوطية أبو بكر محمد بن عمر الإشبيلي (ت 367هـ/977م)، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق و تقديم إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت، 1402هـ/1982م.

40- ابن القيم الجوزية شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ت 751هـ/1130م)، أحكام أهل الذمة، تحقيق صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1994م.

41- الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت 450هـ/1058م)، الأحكام السلطانية و الولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

42- النويري شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ)، نهاية الإرب في فنون الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م.

43- المغربيابن سعيد، علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك (ت685هـ/1286م)، ذيل على رسالة ابن حزم في فضائل الأندلس و أهلها، تقديم صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ط1، القاهرة، 1968م.

44- ابن منظور محمد بن مكرم (ت 711هـ/1311م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، د.ت.

45- مجهول، مفاخر البربر، دراسة و تحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق للطباعة و النشر، ط1، الرباط، 2005م.

46- مجهول، الحلل الموشية، د.ت.

47- المراكشي أبو محمد عبد الواحد بن علي محي الدين التميمي (ت بعد سنة 621هـ/ 1224م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، 1963م.

48- المقدسي شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد أبي بكر (ت 380هـ/990م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، علق عليه و وضع حواشيه محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م.

49- المقري شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ/1632م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، طبعة جديدة، دار صادر، بيروت، 1997م.

50- الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي (ت 914هـ/1508م)، المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوي إفريقية و الأندلس و المغرب، إشراف جماعة برئاسة محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م.

51- الوزان الحسن بن محمد الفاسي، وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي و محمد الاخضر، دار الغرب الاسلامي، ط2،ج1، 1983م.

52- ابن ورد الأندلسي أبو القاسم أحمد (ت 540هـ/1146م)، أجوبة ابن ورد الأندلسي، دراسة و تحقيق محمد الشريف، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان، المغرب، ط1، 2008م.

53- ابن المؤقت عبد الله بن مبارك المسفيوي المراكشي، تعطير الأنفاس في التعريف بالشيخ ابن العباس، د.ت.

54- ابن ثغري يوسف بن عبد الله بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة، ط1، ج1، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة،1929م.

ثالثا: المراجع العربية:

55- آدم ميتز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ،القاهرة ، دار الفكر العربي، ج1، 1419هـ/1999م.

56- آل مصطفى، إبراهيم محمد، سفارات الأندلس إلى ممالك أوروبا المسيحية الكاثوليكية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2012م.

57- ابن شكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تحقيق أبو العلا العدوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، مج2، د.ت.

58- الذهبي إدوار غالي، معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، مكتبة غريب، القاهرة،ط1، 1993م.

59- حقي محمد، البربر في الأندلس، شركة النشر و التوزيع-المدارس-، الدار البيضاء، ط1، 1422هـ/2001م.

60- حمدان جمال، اليهود انتربولوجيا، دار الهلال، القاهرة، 1996م.

61-حمدي عبد المنعم محمد حسين، دراسات في التاريخ الأندلسي دولة بني برزال في قرمونة(404-459هـ/1013-1067م)، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية،1990م.

62- حسن الزين، أهل الكتاب في المجتمع الإسلامي، مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان، ط1، 1982م.

63- حسن احمد النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الشعر الأندلسي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992م.

64- حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي و أطواره، معهد البحوث و الدراسات العربية، القاهرة، 1971م.

65- الحجي، عبد الرحمان، أندلسيات، دار الرشاد، بيروت، ط1، ج1، 1969م.

66- دويدار حسن يوسف، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة،1994م.67-الحسيني شهاب الدين، مبادئ العلاقات و حقوق الأقليات الدينية، دار الهادي للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت،2002 م.

68- الخربوطي علي حسن، الإسلام و أهل الذمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1969م.

69- الخلف سعود بن عبد العزيز، دراسات في الأديان اليهودية و النصرانية، دار أضواء السلف للنشر و التوزيع، الرياض، ط5، 1427هـ/2006م.

70- جاد طه، محاضرات في تاريخ أوروبا الحديث، كلية الآداب، جامعة عين الشمس، القاهرة، 1997م.

71- خليفة محمد حسن أحمد، تاريخ الديانة اليهودية، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 1998م.

72- دندش عصمت عبد اللطيف، دراسات أندلسية في السياسة و الاجتماع، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 1430هـ/2009م.

73- الطاهري أحمد، عامة قرطبة في عصر الخلافة، منشورات عكاظ، الرباط، 1989م.

74- كواتي مسعود، اليهود في المغرب الإسلامي، دار هومه للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2000م.

75- شحادة محمد موسى الرحيباني، منظومة الذهب المنجلي في الفقه الحنبلي، دار الفكر دمشق، ط1، ج1،1981م.

76- شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000م.

77- المسيري عبد الوهاب، موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1999م.

78- مؤنس حسين، فجر الأندلس، الدار السعودية للنشر و التوزيع، جدة، ط2، 1405هـ/1995م.

79- محمد بن احمد بن شقرون، مظاهر الثقافة المغربية، دار الثقافة، الرباط،1986م.

80- محمد الامين بلغيث، دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي، دار التنوير للنشر و التوزيع، 1426هـ/2006م.

81-محمدابراهيم الفيومي، تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب و الأندلس، دار الجيل، ط2،ج1، 1997م.

82- العبادي أحمد مختار، في تاريخ المغرب و الأندلس، دار النهضة، بيروت، د.ت.

83- عبد العزيز سالم السيد، تاريخ المسلمين و أثارهم في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1408هـ/1988م.

84- عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة الشباب، الجامعة الإسكندرية، 1985م.

85- عبد العليم رجب محمد، العلاقات بين الأندلس الإسلامية و إسبانيا النصرانية في عصر بني أمية و ملوك الطوائف، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ت.

86- عبد المجيد محمد بحر، اليهود في الأندلس، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر، القاهرة، 1970م.

87- عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408هـ/1988م.

88- محمد عبد الله عنان، تراجم إسلامية شرقية و أندلسية، مكتبةالخانجي، القاهرة، ط2، 1970م.

89- غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، دار الكتب،1969م.

90- قاسم عبدة قاسم، اليهود في مصر من الفتح العربي حتى الغزو العثماني، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط1980،1م.

91- القادري بوتشيش إبراهيم، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب و الأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، ط1، بيروت، 1988م.

92- القرضاوي يوسف، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط4، 1425ه/2005م.

93- القمص زكريا بطرس، موجز تاريخ انشقاق الكنائس، ط1، د.ت.

94- احمد شلبي، مقارنة الأديان المسيحية، د.ت.

95- متولي شلبي، أضواء على المسيحية، د.ت.

96- محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية و الإفتاء و الدعوة و الإرشاد، المملكة العربية السعودية، الرياض، 1404ه.

97- محمد الحاج، النصرانية من التوحيد الى التثليث، د.ت.

98- ولد أن محمد الأمين، أهل الذمة بالأندلس في ظل الدولة الأموية، دار الأوائل، دمشق، 2011م.

99- الهواري محمد، السبت و الجمعة في اليهودية و الإسلام، دار الهاني للطباعة و النشر، القاهرة، ط1، 1408ه/ 1988م.

100- بطرس البستاني، دار المعارف الإسلامية، دار المعرفة، بيروت، باب الصاد، د.ط، ج10، د.ت.

رابعا:المراجع المعربة:

101- أشباخ يوسف، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين، ترجمه و علق عليه محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1417هـ/1996م.

102- بالنثيا آنخل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1955م.

103- بروفنسال ليفي، تاريخ إسبانيا الإسلامية، ترجمه إلى الاسبانية إميليو جارثيا جومث، ترجمه إلى العربية علي عبد الرؤوف البمبي و آخرون، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، جدة، 2000م.

104- بيريس هنري، الشعر الأندلسي في عصر ملوك الطوائف، ترجمة الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1408هـ/1988م.

105- جوايتاينس.د، دراسات في التاريخ الإسلامي و النظم الإسلامية، تعريب و تحقيق عطية القوصي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1980م.

106- دوزيرينهارت، تاريخ مسلمي اسبانيا، ترجمة حسن حبشي، دار المعارف، القاهرة، 1963م.

107- الزعفراني حاييم، يهود الأندلس و المغرب، ترجمة أحمد شحلان، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000م.

108- كونستبل أوليفيا ريمي، التجارة و التجار في الأندلس، ترجمة فيصل عبد الله العبيكان، الرياض، ط1، 1423هـ/ 2000م.

خامسا: البحوث و الأطروحات و المقالات:

109- خلفات مفتاح، صقالبة الأندلس بين القرنين(3-5هـ/9-11م) دراسة سياسية اجتماعية ثقافية، أطروحة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة قسنطينة،2000م.

110- خزعل ياسين مصطفي، بنو أمية في الأندلس و دورهم في الحياة العامة،(138-422هـ/755-1030م)، أطروحة دكتوراه دولة في فلسفة التاريخ الإسلامي، جامعة الموصل،2004م.

111- جاد الرب عبد القادر عثمان محمد، المستعربون في عصر ملوك الطوائف، مجلة التاريخ العربي، الرباط، المملكة المغربية، العدد 25، 1424هـ/2003م.

112- العبادي أحمد مختار، التأثير المتبادل في الرواية التاريخية العربية الإسبانية، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، العدد 24، 1990/1987م.

113- سحر السيد عبد العزيز سالم، الجوانب الايجابية و السلبية في الزواج المختلط في الأندلس، الغرب الإسلامي و الغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، تنسيق محمد حمام، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، ط1، 1995م.

114- شحلان أحمد، مكونات المجتمع الأندلسي، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، العدد1، 1997م.

115- محي الدين صفي الدين، المستعربون و دورهم في تاريخ الأندلس، مذكرة ماجستير، إشراف عبد القادر بوباية، قسم التاريخ، جامعة وهران، السنة الجامعية 2007-2008م.

116- محي الدين صفي الدين، الوضع الديني لنصارى الأندلس على عهد الدولة الأموية (138-422هـ/756-1031م)، دورية كان التاريخية، العدد الثامن عشر،ديسمبر، 2012م.

117- فوضيلبوالصوف، العلاقات السياسية بين الأندلسالإسلامية و اسبانيا النصرانية في عصر ملوك الطوائف، القرن(5هـ/ 11م)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ و علم الآثار، جامعة منتوري، قسنطينة،2010-2011م.

118- عبد المطلب مصطفى رجب، أهل الذمة في الأندلس خلال الحكم الأموي (عصر الإمارة والخلافة))138-421هـ/756-1030م) رسالة ماجستير، جامعة الأردن،1999م.

119- علي احمدعبد الله القحطان، الدولة العامرية في الأندلس، دراسة سياسية و حضارية(368-399هـ/978-1009م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، الباب الأول، 1981م.

120- الزبيدي مرتضى الحسيني محمد بن محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس في جواهر القاموس، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، ط1، ج32، 2000م.

121- مجلة البيان، كتب النوازل، أنور محمود الزناتي، تاريخ الولوج 20 اكتوبر2013، نسخة محفوظة 2017 على موقع واي باك مشين.

سادسا: المراجع الأجنبية:

122- ASHTOR E. ; The jews of Moslem Spain ; 3 volumes ; Jewish Publication Society of Ameica ; Philadelphia ; 1979.

123- CAGIGAS I de las. ; MinoriasEtnico ; Religiosos de la Edad Media Espanola ; los Mozarabes ; Instituto de EstudiosAfricanos ; Madrid 1947.

123- DUFOURCQ C.E. La vie quotidienne dans l'Europe Médiévale sous Domination Arabe ; Biarritz ; 1981.

124- SIMENET F J. ; Historia de lis Mozarabes de Espana ; Mdrid 1987 ;1903.

125- GUUICHARD P. ; Structures Siciales « orientale » et « occidentales » dans l'Espagne Musulmane ; Mouton ; Paris-la Haye ; 1977.

126- BRECHT, Martin. (tr. Wolfgang Katenz) "Luther, Martin," in Hillerbrand, Hans J. (ed.) *Oxford Encyclopedia of the Reformation*. New York: Oxford University Press, 1996,p 463.

127- New wilson's old testament word studies ;kregel publications ; grand rapids ; michigan ; p92

128- young'sconcordanoe to the bible ;p59.

سابعا: المعاجم:

129- معجم الوسيط،مجمع اللغة العربية،مكتبة الشروق العربية ، القاهرة ، ط4 ،2004م.

130- معجم المعاني الجامع.

131- معجم المصطلحات الفقهية.

ثامنا: المواقع الإلكترونية:

132- http://www.al-kalema.org/ 26 /03/2019 .18 :30 h

133- 38: 22; 26/03/2019نسخة محفوظة29 يناير 2017 على موقع واي باك مشين.

134- كيف بنت الكنيسة الكاثوليكية الحضارة الغربية نسخة محفوظة20 يناير 2018 على موقع واي باك مشين. 23:18

26/03/2019 ;22 :113 -135 /https://st-takla.org

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

كلمة شكر

إهداء

قائمة المختصرات

المقدمة..... أ

المدخل: الأوضاع العامة لأهل الذمة في الأندلس

التعريف بأهل الذمة:.....8

أحكام اهل الذمة في الاسلام:..... 10

أوضاع أهل الذمة: 16

التأثيرات الاجتماعية المتبادلة بين المسلمين و أهل الذمة: 18

دور اهل الذمة في العلاقات الداخلية و الخارجية بالأندلس:..... 19

الفصل الأول: الكنائس في الأندلس مفهومها وأوضاعها

المبحث الأول: مفهوم الكنائس وتاريخ ظهورها:..... 29

كلمة"Ekklesia"ومعناها العام: 29

كلمة"ekklesia"ومعناها في كلمة الله: 30

الكنيسة الواحدة الأولى:..... 30

تاريخ تأسيس الكنيسة:.....31

الهرطقات و المجامع المسكونية:..... 32

المبحث الثاني: انواع الكنائس في المسيحية و انشقاقها: 33

الأرثوذكسية الشرقية: 33

الكنيسة الرومانية الكاثوليكية: 33
الكنيسة البروتستانتية:..... 34
انشقاق الكنائس:..... 35
مجمع خلقيدونية سنة 451م: 36
انشقاق الكنيسة الكاثوليكية: 37
انشقاق الكنيسة البروتستانتية: 38
الاسباب المباشرة لانشقاق الكنيسة البروتستانتية:..... 40
المبحث الثالث: عناصر أهل الذمة و علاقتهم بشرائح المجتمع الأندلسي: 42
العناصر المكونة للمجتمع الأندلسي: 42
النصرانية في الأندلس: 52
أوضاع النصارى في الأندلس: 53

الفصل الثاني:التنظيمات الإدارية و الدينية للنصارى و اليهود في الأندلس

المبحث الأول: التنظيمات الإدارية والدينية للنصارى في الأندلس: 59
التنظيمات الإدارية للنصارى: 59
التنظيمات الدينية للنصارى:..... 61
المبحث الثاني: التنظيمات الإدارية و الدينية لليهود بالأندلس:..... 72
التنظيمات الإدارية لليهود: 72
التنظيم الديني لليهود:..... 79
التنظيم المالي لليهود:..... 80

الفصل الثالث: الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية للنصارى و اليهود بالأندلس

فهرس الموضوعات:

المبحث الأول: الحياة الاقتصادية والاجتماعية للنصارى بالأندلس: 83
الحياة الاقتصادية للنصارى بالأندلس: 83
التجارة عند النصارى : 83
الزراعة عند النصارى: 86
الحياة الاجتماعية للنصارى بالأندلس: 86
الزواج المختلط: 87
ظهور فئة المولدين: 89
أعياد النصارى: 90
اللباس عند النصارى: 93
المبحث الثاني: الحياة الاقتصادية و الاجتماعية لليهود بالأندلس: 94
الحياة الاقتصادية لليهود في الأندلس: 94
النشاط التجاري لليهود: 94
الزراعة عند اليهود في الأندلس: 99
النشاط الحرفي لليهود بالأندلس: 100
الحياة الاجتماعية لليهود في الأندلس: 102
اللباس عند اليهود: 102
المرأة و الزواج عند اليهود: 105
الأعياد عند اليهود 107
الخاتمة.....110
الملاحق.....113
المصادر و المراجع.....117